الشيخ نجم الدين الطبسي

روافد الإيمان الى عقائد الإسلام

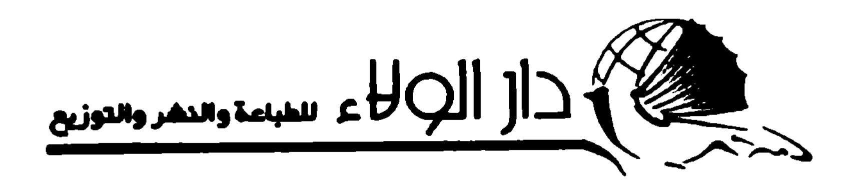
مواجهات الأباطيل وتفنيد مبانيها وخطأ معتقداتها بالشواهد والنّصوص التاريخيّة



دار الولاء
بيروت - لبنان

روافد الإيمان

إلى عقائد الإسلام



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفاكس: 009611454133 - 689496 -009613 ص. ب:327/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com



اسم الكتاب:	روافد الإيمان إلى عقائد الإسلام
المؤلـــف:	الشيخ نجم الدين الطبسي
الناشـــر:	دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعـــة:	الثانية ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

روافد الإيمان إلى عقائد الإسلام

مواجهة الأباطيل وتفنيد مبانيها وخطأ معتقداتها
بالشواهد والنصوص التاريخية

الشيخ نجم الدين الطبسي

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أُبتلي العالم الإسلامي؛ خصوصاً بلاد الشام عام ٦٩٨هـ.ق بهجمات عنيفة وشرسة من أحد المحسوبين على الإسلام. كان قد نَشَرَ الأفكار الباطلة والمنحرفة. فتصدّى له علماء المذاهب، والفقهاء إلى أن طُرد وحبس وضيّق عيله حتّى مات في الحبس، هذا بعدما نصحه القريب والبعيد، وحذّره الصديق والعدوّ، فلم يرتدع ولم يرجع من غيّه وضلالته.

ومن معاصريه الذين نصحوه شمس الدين الذهبي صاحب ميزان الاعتدال حيث خاطبه قائلاً:

. . . يا رجل! بالله عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام، إيّاكم والغلوطات في الدين كره نبيُّكَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال. . . وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان. . . تلك الكفريات التي تعمي القلوب. . . يا خيبة من اتبعك فإنّه معرضٌ للزندقة والانحلال، لا سيما إذا كان قليل العلم والدين. . . فهل معظم أتباعك إلاّ قعيد مربوط خفيف العقل!؟ أو عامي كذّاب بليد الذهن!؟ أو غريب واجم، قوي المكر!؟ أو ناشف صالح عديم الفهم. . . يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار!؟ إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار!؟ إلى كم تعظّمها وتصغر العباد!؟ إلى متى تخاللها

وتمقت الزهّاد!؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح ـ والله ـ بها أحاديث الصحيحين، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كل وقت تُغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار...»[١].

وكاد الباطل أن يضمحلّ بعد قطع دابر الذين ظلموا، لولا أن تصدّى بعض تلامذته، لمواصلة مسيره والترويج لمذهبه، ولكن تلك المحاولات باءت بالخيبة والفشل أيضاً، ولم يكن لها كبير أثرٍ على المسلمين، إلى أن ظهرت دعوة محمّد بن عبد الوهاب امتداداً لدعاوى ابن تيمية، بدعم عسكري من محمّد بن سعود وتحالفٍ بينهما ـ فكفّر البلاد الإسلاميةَ، وأنكر المسلّمات، وهاجَمَ المعتقدات، وانتهك الحرمات وسَفَك الدماء وقَتل الآلاف من الأبرياء.

فأحسَّ العالم الإسلامي بالخطر من جديد واستعدَّ للدفاع والمقاومة، وتأهّب لحالة طوارىء جديدة، وكان أوّلُ من تصدّى له والده ثم أخوه الشيخ سليمان حيثُ ألّف كتاباً فنّد فيه عقائدَ أخيه وأهاب وحذّر المسلمين منها ودعاهم للوقوف بوجه هذا الغزو الفكري الخطر ثم توالت محاولات التصدي لمواجهة هذا التيّار مواجهة علمية من قِبَل علماء من جميع المذاهب الإسلامية، لتكذيب أحدوثته وتفنيد أباطيله بسيف الحجّة والبرهان.

وكان من الواجب على كل المسلمين القيام بدورهم في مواجهة هذه التيّارات، وتفنيد مبانيها، وإظهار خطأ معتقداتها، وفضح شذوذها، وبُعدها عن الإسلام.

---

(١) تكملة السيف الصقيل للكوثري: ١٩٠ ـ كتبه من خط قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي وقد كتبه من خط الذهبي، وذكر شطراً منه العزامي في الفرقان: ١٢٩ ـ انظر الغدير ٥/ ٨٩ ـ هذا وقد حاول البعض إنكار هذه الرسالة ونفى صدورها عن الذهبي، ولكنها محاولة يائسة بلا طائل.

وأنا بدوري كواحد من طلبة العلوم الدينية ـ في الحوزة العلمية ـ ومن آحاد المسلمين ـ أعلى الله كلمتهم ـ رأيت من واجبي القيام بتكليفي الشرعي في صدّ هذا التيّار الهدّام من خلال إلقاء الدروس والمحاضرات، وتوعية الجيل الجديد على حقيقة هذه الدعوة الباطلة، وتحذيره ممّا يجري باسم الدين، وتوجيهه للقيام بمسؤوليته في القضاء على مثل هذه الأفكار.

وهذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقيتُها في هذا الصدد.

وسيلاحظ القارىء الكريم فيه أننا:

١ ـ ناقشنا الأحاديث التي تعتبرها الوهابية دليلاً تعتمده وترتكز عليه فيما تذهب إليه من الرأي الباطل، وأثبتنا خطأ ما ذهبت إليه. كما أوردنا آراء علماء الرجال بصدد رواتها، وأثبتنا ضعف تلك الأحاديث سنداً، حتى لا يبقى للوهابية ما تركتز عليه من رواية وحديث.

٢ ـ يمتاز هذا الكتاب عن بعض ما أُلّف في هذا المضمار بكثرة الشواهد والنصوص التاريخية، لردّ دعوى الوهابية، والفضل والفخر للإمامين العلمين: الأمين ـ صاحب كشف الارتياب ـ والأميني ـ صاحب الغدير ـ الّذين سبقا في بذل غاية الجهد في تفنيد الفكرة الوهابية.

٣ ـ اكتفينا في هذا الحقل بالمواضيع التي كثيراً ما تثيرها الوهابية كمسألة زيارة قبر النبي ﷺ وشدّ الرحال والقصد إليه، وزيارة القبور والتبرّك والتمسّح بها، وبالآثار، والصلاة والدعاء عند القبور، وفي المشاهد، والإسراج عندها، والنذر، ومسألة الشفاعة مع تفصيل ضروري فيها، والحلف بغير الله، وإقامة الاحتفالات وغيرها من المسائل التي تثيرها الوهابية، وكثيراً ما سمعناها ونسمعها من مشايخهم أيّام فريضة الحج سيما في الحرمين الشريفين.

ونسمعها من أعضاء هيئة الأمر بالمعروف التي أُعدّت خصّيصاً للخوض في مناقشة الوافدين إلى الحج مناقشة محصورة في خصوص هذه المحاور، ولا شأن لها بمسألة الاحتلال الصهيوني، وخطط إسرائيل الشيطانية في المنطقة وفي العالم، ولا بمواقف أمريكا العدائية من المسلمين، ولا بقضايا الجزائر والسودان وافغانستان، أو مسلمي البانيا والبلقان.

وفي الختام نشكر صديقنا العزيز الاستاذ المحقّق علي الشاوي الذي أتحفنا بملاحظات قيّمة فله منّا جزيل الشكر.

هذا ونحمد الله تعالى على هذا التوفيق، إنّه وليّ النّعم.

قم المقدّسة/ نجم الدين الطبسي

٤/ شوال/ ١٤١٧هـ

المدخل

إنّ المنصف لو سبر عمق التاريخ ودرس سيرة الخوارج وأفكارهم المتحجرة وفهمهم الخاطىء للإسلام والقرآن والخلافة الإلهية وموقفهم تجاه المسلمين؛ من تكفيرهم جزافاً وجهلاً واستحلال دمائهم وأموالهم، ثم أمعَنَ النظر وتأمّل بعين الإنصاف ـ لا العصبية ـ في سلوك الوهابيين وفتاواهم وسياستهم تجاه الأُمة الإسلامية، لرأى نهج الوهابية وخصائصها امتداداً لحركة الخوارج في النهج والخصائص، والمسلمون من يوم تحكّم ابن وهاب، إلى يومنا هذا يدفعون ضريبة تأثير ذلك التيّار الخطر.

عندما نرى اليوم شعار: لا دعاء إلاّ لله، ولا شفاعة إلاّ لله، ولا توسّل إلاّ بالله، ولا استعانة إلاّ بالله، يتداعى في أذهاننا شعار الخوارج: لا حكم إلاّ الله.

عندما نرى اليوم حكم الوهابية بشرك من خالف معتقدهم ولم تسمع منهم إلاّ خطاب: يا مشرك! يا كافر!... يتداعى إلى الذهن تفكير الخوارج من عداهم من المسلمين.

عندما نرى الوهابية كيف تهلك الحرث والنسل وتستأصل المسلمين بحجّة أنهم يطلبون الشفاعة من الميّت ويتوسّلون بالنبي ﷺ والصالحين، يتداعى إلى الذهن جمود الخوارج وتحجّرهم وغباؤهم في فهم الإسلام.

بينما تراهم يتورّعون ـ بزعمهم ـ عن أكل تمرة ملقاة في الطريق بدعوى عدم رضا صاحبها، أو يتورّعون عن قتل خنزير شارد بدعوى

احتمال أن يكون لكتابي في ذمّة الإسلام، تراهم ـ وبكل صلافة ووقاحة ـ يقتلون صحابياً صائماً وفي عنقه القرآن ويتقرّبون بسفك دمه إلى الله تعالى، فترى المسلمين خوفاً من بطشهم وخشيةً على أنفسهم يتظاهرون بأنّهم من أهل الكتاب ولا يُظهرون أنّهم مسلمون[١]، بينما يسفك دم من يثني على علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول فيه خيراً[٢].

حينما نرى من الوهابية تطبيق الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٣] على من يتوسّل بقبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله أو بقبر صحابي جليل، أو بقبر أحد الصلحاء، يتداعى إلى الذهن تطبيق الخوارج آيات نزلت في الكفار والمشركين، على المسلمين والمؤمنين كما قاله ابن عمر وابن عباس، فعن ابن عمر: «إنّهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»[٤].

وعن ابن عباس: «لا تكونوا كالخوارج تأوّلوا آيات القرآن في أهل القبلة، وإنّما نزلت في أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال»[٥].

والحال أنّ من ضروريات الدين أن كل من أجرى الشهادتين على لسانه فهو محقون الدم، ومعدود من المسلمين وله ما لهم وعليه ما

---

(١) لقيهم قوم مسلمون، فسألوهم من أنتم؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة فقال المسلم لاخوته: اتركوا الجواب لي، قال: نحن قوم من أهل الكتاب، إستجرنا بكم حتى نسمع كلام الله ثم تبلغونا مأمننا، فقالوا: لا تخفروا ـ أي أجيروا ـ ذمة نبيّكم فأسمعوهم شيئاً من القرآن وأرسلوا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم. (راجع كتاب: السيرة الحلبية ٣/ ١٤٠).

(٢) قالوا لعبد الله بن خباب ما تقول في علي؟ فأثنى خيراً. فقالوا: إنّك ممّن يتّبع الرجال على أسمائها، وفعلوا معه ما فعلوا. (راجع السيرة الحلبية ٣/ ١٤٠).

(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٤) انظر البخاري ٤/ ١٩٧.

(٥) كشف الارتياب: ١٢٤.

عليهم، ولا حاجة إلى كلفة شق قلبه كي يعرف هل دخل الإيمان في قلبه أو أنه أسلم بلسانه!!

ولعل هذا الأمر لم يكن عند الوهابية من الضرورات فباتت تكفّر من لا يلتزم بمزاعمهم، كأنهم نسوا الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1]، أو لم يسمعوا مقالة النبي الكريم ﷺ لأسامة معترضاً على ما ارتكبه: فقد بعث رسول الله ﷺ سرية عليها أُسامة بن زيد إلى بني ضمرة. فلقوا رجلاً منهم يدعى مرداس بن نهيك معه غنم له، وجمل أحمر، فلما رآهم آوى إلى كهف جبل واتبعه أسامة، فلما بلغ مرداس الكهف، وضع فيه غنمه ثم أقبل إليهم فقال: السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله، فشدّ عليه أسامة فقتله من أجل جمله وغنمه... فلما أكثروا عليه رفع ﷺ رأسه إلى أُسامة فقال: كيف أنت ولا إله إلاّ الله...؟ فقال: يا رسول الله إنّما قالها متعوّذاً تعوّذ بها. فقال رسول الله ﷺ: هلاّ شققت عن قلبه فنظرت؟ فأنزل الله خبر هذا؛ وأخبر إنّما قتله من أجل جمله وغنمه[2].

إن الخوارج «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وفي رواية أُخرى: «يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»[3] نخشى أن يكون قوله عليه السلام ـ حينما سألوه عن نجد ـ قال: «هنالك الزلازل والفتن منها»[4]، أو قوله: «بها يطلع قرن الشيطان» ناظراً إلى هذا التيّار الذي ظهر في نجد والمتّبعين لرأيه فإنّ

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.
(٢) الدر المنثور: ٢/ ٣٥٧. مجمع البيان: ٣/ ١٤٩.
(٣) مسند أحمد: ٢/ ١٨. الجامع الصحيح: ٤/ ٤٨١.
(٤) مسند أحمد ٢: ٨١ و٤/ ٥.

معنى القرن كما في القاموس: الأُمة، والمتبعون لرأيه، أو قومه وانتشاره وتسلّطه[١].

نسأل الله عزّ وجلّ أن يوحّد كلمة المسلمين ويقوّي عزمهم على من سواهم، وينوّر قلوبهم بهدى الإسلام ويرزقهم الفهم والبصيرة.

كما نأمل أن تُوجه هذه الفرقة اهتمامها صوب الحوار العلمي القائم على أساس التفهيم والتفهّم، لعلّ الله سبحانه وتعالى يزيح عن الأذهان ستار الجهل وغشاوة التعصّب، إنه ولي التوفيق.

---

(١) القاموس: ٣/ ٣٨٢، مادة قرن.

الفصل الأوّل

الشفاعة

١ ـ رأي الوهابية في الشفاعة
٢ ـ معنى الشفاعة
٣ ـ مورد الشفاعة
٤ ـ دور الشفيع
٥ ـ الشفعاء
٦ ـ تقرير آخر للجواب
٧ ـ حياة النبي ﷺ بعد الموت
٨ ـ رأي العلماء في الحياة بعد الموت
٩ ـ استفهام وجواب
١٠ ـ رأي السُبكي في بقاء الروح
١١ ـ من الروايات في الشفاعة
١٢ ـ طلب الشفاعة في سيرة الصحابة

الشفاعة

لقد منعت الوهابية طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين والملائكة ـ الذين أخبر الله تعالى بأن لهم الشفاعة ـ وجعلوه كفراً تحلُّ به دماءُ المستشفعين وأموالهم!

قال محمد بن عبد الوهاب: إن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرّب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم.

وهذا المضمون أخذه من ابن تيمية حيث قال: إنّ الّذين قاتلهم النبي ﷺ مقرّون بما ذكرت وبأن أوثانهم لا تدبّر شيئاً وإنّما أرادوا الجاه والشفاعة وأنهم ما أرادوا ممّن قصدوا إلاّ الشفاعة، وإن طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفّار: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1].

معنى الشفاعة:

وهي من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فتكتمل الوسيلة وترقى بالشفيع إلى حدّ القبول والتأثير، فيتأهل المستشفع لنيل المراد، والفوز بما لم يكن أهلاً للفوز به لنقص وسيلته وقصورها.

مورد الشفاعة:

إنّ الإنسان لا يكون مورداً للشفاعة إذا أراد نيل ثوابٍ أو درجة من غير سعي ولا تهيئة أسباب بلوغ ذلك الثواب أو تلك الدرجة، ويكون

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣ .

مورداً للشفاعة إذا كانت له القابلية واللياقة للتلبّس بالكمال وبلوغ الدرجة المقصودة وقد سعى لها سعيها، لكنه لم يتأهّل لنيلها، لنقص وسيلته بسبب تقصير منه، فيأتي دور الشفيع هنا لرفع النقص، لأن الشفاعة متمّمة للسبب لا مستقلّة في التأثير.

دور الشفيع:

إنّ دور الشفيع لا يعني إبطال مولوية المولى ولا إبطال عبودية العبد، ولا رفع اليد عن الحكم المجعول، بل الشفيع إمّا أن يتقدّم إلى المولى بصفات في المولى سبحانه توجب العفو عن العبد والرأفة به، مثل السخاء والكرم والصفح و. . .

أو أنّ الشفيع يتقدّم إلى المولى بصفات في العبد توجب رحمة المولى ورأفته به والتجاوز عنه، كالاعتقاد الحق، والصدق في الاعتقاد، وطلب مرضاة المولى، وحبّه لأولياء المولى وأحبائه، وسوء حال العبد، ومسكنته وذلّته، و. . . أو بصفاتٍ في الشفيع نفسه: مثل قربه من المولى، وعلوّ منزلته عنده، و. . . فكأنّ الشفيع يقول: يا ربّ لا أسألك إبطال المولوية ولا إبطال الحكم، ولا إبطال الجزاء، بل العفو. لأنّ لك الكرم، أو لأنّ العبدَ جاهل، أو لمنزلتي عندك.

فالشفاعة: حقيقتها التوسط في إيصال نفع أو دفع شرّ بنحو الحكومة لا بنحو المضادّة.

يعني: إنّ الشفيع يذكر بعضَ العوامل المؤثّرة في رفع العقاب بأن يخرج المورد ـ الشخص ـ عن كونه مصداق العقوبة إلى مورد آخر مصداق الرأفة.

ثم أنّ الشفاعة كما أنّها تثبت لعدّةٍ من عباده، من الملائكة والناس من بعد الإذن والارتضاء، كذلك يمكن للعبد أن يتقدّم إلى الله برحمته، أو بِذُلّ

نفسه وحقارتها، في التوبة إلى الله والعمل الصالح فيخرج نفسه عن كونه مصداقاً للمذنب المسيء إلى كونه مصداقاً للمحسن، وفي أمثال هذا العبد يقول تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾(١) فله تعالى أن يبدِّل السيّئة حسنة كما له أن يجعل رصيد الإنسان من الأعمال صِفراً: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢).

الشفعاء:

الشفاعة نوعان: شفاعة تكوينية، والشفعاء فيها جملة الأسباب الكونية بما هي وسائط بين الله وبين الأشياء.

وشفاعة تشريعية، وهي الواقعة في عالم التكليف، ومنها ما يستدعي في الدنيا مغفرة من الله سبحانه أو قرباً أو زلفى، فالشفيع متوسط بين الله وبين عبده، ومنها:

١ ـ التوبة: كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾(٣) وتعمُّ جميع المعاصي حتى الشرك.

٢ ـ الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

٣ ـ العمل الصالح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣ ـ ٥٤.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٩.

٤ ـ القرآن: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

٥ ـ الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

٦ ـ الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

٧ ـ المؤمنون: باستغفارهم لأنفسهم ولاخوانهم المؤمنين، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾[5].

ومنها: الشفيع يوم القيامة: بالمعنى الذي ذكرناه وهو اخراج المذنب عن كونه مصداقاً للعقوبة، إلى مورد كونه مصداقاً للرأفة والرحمة، وهم:

١ ـ الأنبياء: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[6] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[7] فإن منهم عيسى وهو نبي.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة المؤمن، الآية: ٧.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦ .
(٧) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

٢ ـ الملائكة: قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[1].

٣ ـ الشهداء: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[2] وهي تدل على أن تملّكهم للشفاعة لشهادتهم بالحق، فكل شهيد هو شفيع يملك الشهادة.

لكن المراد بالشهادة هنا: شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في المعركة.

٤ ـ المؤمنون: ومن الآية السابقة يظهر أن المؤمنين أيضاً من الشفعاء، فإن الله عزّ وجلّ أخبر بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[3][4].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٤) هذا وقد تعرّض العلاّمة الطباطبائي لإشكالات سبعة على الشفاعة والجواب عنها وها نحن نذكر بعضها وباختصار:
١ ـ لو كان رفع العقاب عن المجرم عدلاً، فالعقاب ظلم. وإن كان ظلماً، فكيف سأل الأنبياء ما هو ظلم؟
والجواب: إنّ رفع العقاب ليس معناه نقض الحكم الأول ونقضاً للعقوبة، بل بمعنى إخراج المجرم عن كونه مصداقاً للعقوبة بجعله مصداقاً لشمول الرحمة والرأفة.
٢ ـ إن الشفاعة توجب التخلف والاختلاف ورفع العقاب بالشفاعة عن المجرمين في جرائمهم موجب لنقض الغرض المحال، إذ سنّة الله تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف، فما قضى وحُكم به يجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء.
والجواب: يأبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها، فالحكم له سبب، ولعل هناك أسباباً كثيرة أخرى تستدعي غير ما يقتضيه هذا السبب الواحد.
٣ ـ إنّ الشفاعة المعروفة هي حمل المشفوع عنده على ترك ما أراد فعله، أو فعل ما أراد. فالشفاعة تصرّف في إرادة الربّ وحكمه وهو محال. =

تقرير آخر للجواب:

أوّلاً: إنّ معنى الشفاعة هو الطلب من المشفوع عنده، أمراً للمشفوع له. فشفاعة النبي ﷺ أو غيره، معناه: دعاؤه إلى الله للغير، وطلبه من الله غفران الذنب وقضاء الحوائج، فالشفاعة نوع من الدعاء.

فعن الرازي ذيل الآية الكريمة: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[1] قال مقاتل: الشفاعة إلى الله إنّما تكون بالدعاء. واحتج بما روى أبو الدرداء أن النبي ﷺ قال: **«من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استُجيب له، وقال المَلَك له ولك مثل ذلك»**[2].

إذن: طلب الشفاعة من الغير، عبارة أُخرى عن طلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أي مؤمن كان، كما اعترف محمد بن عبد الوهاب بجواز طلب الدعاء من الحيّ، بل جوازه يُعدّ من ضروريات الدين، وحينئذٍ فيجوز طلب الشفاعة (أي الدعاء) من كل

= والجواب: إنّ الشفاعة ليست من التغيّر في الإرادة والعلم، بل في المراد والمعلوم. فهو سبحانه يعلم أن الإنسان الفلاني سوف تجري عليه حالات متعدّدة فيكون في حين كذا على حال كذا، لاقتران أسباب وشرائط خاصة، فيريد فيه بارادة، ثم يكون في حين آخر على حال آخر جديد، يخالف الأول لاقتران أسباب وشرائط أُخر، فيريد فيه بإرادة أُخرى **﴿كلّ يوم هو في شأن﴾** و**﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾**.

٤ ـ إنّ وعد الشفاعة، يستلزم تجرّي الناس على المعصية.

والجواب بالنقض أولاً: بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة في غير مورد التوبة، بدليل استثنائه الشرك المغفور بالتوبة. وثانياً بالحل (الوعد بالشفاعة) إنّما يستلزم تجرّي الناس على المعصية بشرطين:

الأول: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الذي تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الانجاز من غير تعليق بشرط جائز.

الثاني: تأثير الشفاعة في جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

ومن المعلوم أن هذين الشرطين لسيا من (الوعد بالشفاعة) بشيء. تفسر الميزان: ١/١٦٨.

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٢) التفسير الكبير: ١٠/٢٠٧.

مؤمن فضلاً عن الأنبياء والصالحين وفضلاً عن سيّد المرسلين.

إن قلت: لا بدّ أن يكون للشفيع جاه عند المشفوع إليه.

قلت: إنّ الله جعل حرمة[١] لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه. أضف إلى ذلك ثبوت الشفاعة ـ كما مرّ ـ لآحاد المؤمنين وللملائكة، وأنها ليست من خاصة الأنبياء.

شفاعة الملائكة:

قال الرازي ذيل هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٢].

قال: هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين[٣].

كما وقعت الشفاعة من النبي ﷺ وغيره من الأنبياء ﵈ وأمره الله بها. فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[٤].

وحكى عن نوح أنه قال: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[٥].

والنتيجة: إن الشفاعة لا تزيد عن الدعاء، وطلب المغفرة.

---

(١) عن الأسلمي عن النبي(ص) وهو يخاطب الكعبة: ما أعظمك وأعظم حُرمتك، والمؤمن أعظم حُرمة عند الله منك. (سنن الترمذي: ٤/ ٣٧٨ب ٨٥ ح٢٠٣٢).

(٢) سورة غافر، الآيات: ٧ ـ ٩.

(٣) التفسير الكبير: ٢٧/ ٣٢.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٥) سورة نوح، الآية: ٢٨.

شفاعة الحجر الأسود:

عن علي عليه السلام: إشهدوا هذا الحجر خيراً فإنّه يوم القيامة شافع مشفّع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه[١].

رواه أبو نعيم في مسلسلاته وقال: صحيح ثابت عن علي عليه السلام.

قال العزيزي في الشرح: أشهدوا أي اجعلوا الحجر الأسود شهيداً لكم على خير تفعلونه عنده كتقبيل واستلام أو دعاء. أو ذكر عنده وقوله: فإنّه شافع: أي فيمن أشهده خيراً، مشفّع: أي مقبول الشفاعة[٢].

إذن: الإشهاد هنا بمعنى طلب الشفاعة منه، مع أنّه جماد لا يعقل ولا ينطق، وقد أُمرنا بإشهاده ولم يكن ذلك شركاً. وإلاّ ـ لو كان شركاً ـ لم يغيّره الأمر، لأن الحكم لا يغيّر الموضوع.

فالشفاعة والدعاء من مقولة واحدة، وليس حتماً على الله قبول الشفاعة ولا إجابة الدعاء، وإنّما ذلك من ألطافه وتفضّله.

شفاعة الأموات:

فعن ابن تيمية: إنّها بدعة، وعن ابن عبد الوهاب والصنعاني: كفر وشرك. قال ابن تيمية: أمّا الميّت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا، ولا، إسأل لنا ربّك، ولم يَنقل هذا أحدٌ من الصحابة والتابعين ولا أمَرَ به أحدٌ من الأئمة ولا ورد فيه حديث.

والجواب: **أوّلاً**: إن كان منع ـ وحرمة طلب الشفاعة من الأموات ـ إنّما هو لأجل تعذر خطاب المعدوم على فرض أن الميّت

(١) كنز العمال: ٢١٧/١٢ ح٣٤٧٣٩ ـ جامع الصغير للسيوطي: ٢٢٥.
(٢) فيض القدير: ٥٢٧/١.

معدوم! فنقول: إنّ النبيّ ﷺ - وسائر الأنبياء عليهم السلام أحياء بعد الموت - وإنّه يسمع الكلام ويَردّ الجواب ويبلغه صلاة وتسليم من يصلّي ويسلّم عليه، وإنّ علمه بعد وفاته كعلمه في حياته، وإن أعمال أُمّته تعرض عليه وإنّه يستغفر لأُمّته[١] وهذا ما صرّح به العلماء والمتكلّمون وسيجيء البحث عنه، وهذا ما لا يمكن لأحد انكاره.

حياة النبي ﷺ بعد الموت:

إن هذا هو المتفق عليه عند محققي المتكلّمين وغيرهم.

قال السمهودي[٢]: «لا شك في حياته بعد وفاته، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم، حياة أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز، ونبيّنا ﷺ سيّد الشهداء، وأعمال الشهداء في ميزانه، وقد قال ﷺ: «علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي»، رواه الحافظ المنذري.

وروى ابن عدي في كامله: عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون» رواه أبو يعلى برجال ثقات ورواه البيهقي وصححه[٣].

(١) انظر محاسبة النفس، الباب الثالث: ١٨ وكشف الارتياب: ٢١٧.

(٢) نور الدين علي بن أحمد ويعرف بالسمهودي نزيل المدينة المنورة، وعالمها ومفتيها ومدرّسها ومؤرّخها الشافعي الإمام القدوة الحجة، ولد في صفر ٨٤٤هـ، وانتفع به جماعة الطلبة في الحرمين، وألّف عدّة تآليف.
قال السخاوي: قلّ أن يكون أحدٌ من أهلها لم يقرأ عليه، وبالجملة فهو إمام مفنن متميّز في الأصلين والفقه، مديمُ العلم والجمع والتأليف متوجّه للعبادة والمباحثة والمناظرة، قويّ الجلادة طلق العبارة مع قوّة يقين، وعلى كل حال فهو فريد في مجموعه. توفي عام ٩١١هـ.
انظر شذرات الذهب: ٨/٥١ لابن عماد الحنبلي. والضوء اللامع: ٥/٢٤٥ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي.

(٣) وفاء الوفاء: ٤/١٣٤٩.

وقال البيهقي: ولحياة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة، ثم ذكر حديث «مررتُ بموسى وهو قائم يصلّي في قبره» وغيره من أحاديث لقاء النبي بالأنبياء وصلاته بهم.

وروى ابن ماجه بإسناد جيّد ـ كما قال المنذري ـ عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «اكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنّه مشهودٌ تشهده الملائكة، وإن أحدٌ يصلّي عليَّ إلاّ عرضت عليَّ صلاته حين يفرغ منها».

قال: قلت وبعد الموت؟ قال: «وبعد الموت، إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فنبيّ الله حيّ يرزق».

روى البزار برجال الصحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ «إنّ لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أُمّتي» وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرت الله لكم».

قال أبو منصور البغدادي: قال المتكلّمون المحقّقون من أصحابنا: إنّ نبيّنا محمّداً ﷺ حيٌّ بعد وفاته، يُسَرُّ بطاعات أُمّته، وإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يبلون.

وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدّت إليهم أرواحهم فهم أحياء[1] عند ربّهم كالشهداء.

---

(١) عن النبي(ص): «مررت بموسى وهو يصلّي في قبره» وقبره بمدين بين المدينة وبيت المقدس ـ سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٩ ـ صحيح مسلم: ج٢ ص٢٣٧٥، سنن النسائي: ٣/ ٢١٦ ـ مسند أحمد: ٣/ ١٤٨ ـ ابن حبان.

وقد رأى نبيّنا ليلة المعراج جماعة منهم، قال وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً.

وأضاف السمهودي: قلت ويؤيد ذلك حديث: «إنّ عيسى ابن مريم مار بالمدينة حاجاً أو معتمراً، وإن سلّم عليّ لأردنّ عليه».

وأمّا أدلّة حياة الأنبياء، فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء، ومع قوّة النفوذ في العالم. وقد أوضحنا المسألة في كتابنا المسمّى بـ(الوفاء لما يجب لحضرة المصطفى)[1].

وقال القسطلاني: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة، ونبينا أفضلهم، وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته اكمل وأتم من حياة سائرهم[2].

إذن بعد هذه التصريحات من العلماء والمحققين، وبعد هذه الروايات الصحيحة الواردة في كتب السنة هل يبقى مجال لقول ابن تيمية ومن تبعه؟ وهل يمكن القول بأن الشفاعة وطلب الدعاء من النبي ﷺ والصالحين يكونان بدعة أو كفراً أو شركاً؟ فلا يبقى إلاّ القول: بأن الواجب عليهم إعادة النظر فيما قالوه، والتتبع ومراجعة الأحاديث وكلمات المحقّقين لكي يعرف بُعْدُ هذه الأقاويل عن الحقل العلمي ومجال التحقيق. وإن دلّت هذه الآراء على شيء لدلّت على قلّة معلوماتهم بأصولهم ومبانيهم.

رأي العلماء في الحياة بعد الموت:

١ ـ قال الفقيه أبو بكر العربي (في الأمد الأقصى في تفسير

(١) وفاء الوفاء: ٤/١٣٤٩.
(٢) المواهب اللدنية: ٣/٤١٣.

الأسماء الحسنى): إنّ إحياء المكلّفين في القبر وسؤالهم جميعاً لا خلاف فيه بين أهل السنّة[١].

٢ ـ وقال سيف الدين الآمدي في كتاب (أبكار الأفكار): إتفق سلف الأُمّة، قبل ظهور المخالف وأكثرهم بعد ظهوره على إثبات إحياء الموتى في قبورهم[٢].

٣ ـ وقال السُبكي: وقد أجمع أهل السنّة على إثبات الحياة في القبور، قال إمام الحرمين في الشامل: اتفق سلف الأُمّة على إثبات عذاب القبر وإحياء الموتى في قبورهم وردّ الأرواح في أجسادهم... أضاف السبكي بعد نقل هذه الأقوال: وقد تلخّص من هذا: إنَّ الروح تعاد إلى الجسد ويحيى وقت المسألة وإنه ينعم أو يعذّب من ذلك الوقت إلى يوم البعث[٣].

٤ ـ وقال ابن تيمية في كتاب: (اقتضاء الصراط المستقيم).. إن الشهداء، بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم، وسلّم عليهم عرفوا به، وردّوا عليه السلام، قال السمهودي: فإذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيّد المرسلين[٤].

٥ ـ عن الغزالي: كان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخّرت إلى يوم الاثنين؟ فقال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده[٥].

---

(١) شفاء السقام: ٢٠٤.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥١.
(٣) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤١٢.
(٤) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥١.
(٥) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤١٢.

ـ قال الشيخ منصور حول الحياة بعد الموت:

فإنه أورد حديثاً عن ابن عباس: مرّ رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبَلَ عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر». رواه الترمذي بسند حسن.

وقال في الشرح: فيندب لزائر القبور: السلام عليكم أولاً، والدعاء له ولهم ثانياً ويتأكّد الاخلاص فإنّه مفتاح القبول. وطلب السلام على الموتى يفيد أنّهم يشعرون ويدركون، فإن الموت ليس عدماً محضاً بل هو انتقال من دار إلى دار، يفنى الجسم وتبقى الروح كاملة الإحساس في عذاب أو نعيم إلى يوم يبعثون[١].

وقال في شرح قوله عليه السلام: «إلاّ ردَّ الله عليَّ روحي» قال: أي نطقي وإفاقتي من استغراقي في أحوال الملكوت، وإلاّ فالأنبياء أحياء في قبورهم كما تقدم في باب الجمعة[٢].

وقال في باب الجمعة بعد حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ «إنّ من أفضل أيامكم الجمعة فيه خُلِقَ آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْتَ (رميماً) فقال: إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء».

رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

قال في الشرح: بأمر الله تعالى فيسمعها فينسرّ بها، لأنّه في قبره حيّ ويفرح بصلاة المصلّين عليه ففيها رفع درجات له ولهم... وإمّا في

(١) التاج الجامع للأصول: ١/ ٣٨١.
(٢) التاج الجامع للأصول: ١/ ٢٩١.

غير يوم الجمعة فإن الصلاة عليه تبلغه على لسان ملائكة مخصوصين بهذا، كما تبلغه أعمال الأمّة في يوم الخميس بواسطة ملائكة لهذا[١].

وعن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ: «أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإني أُبلَّغ واستمع». رواه الشافعي وابن ماجة[٢].

أضف إلى ذلك: أنّ الروح في عالم البرزخ يقوى إدراكها وتكون أقوى من عالم الدنيا. كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٣].

استفهام:

هنا سؤال يطرح نفسه وهو أن الحديث النبوي: «إلاّ ردّ الله عليّ روحي[٤] حتى أردّ عليه» دال على عدم استمرار الحياة.

والجواب الأول:

١ ـ يحتمل أن يكون ردّاً معنوياً وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة، والملأ الأعلى عن هذا العالم. فإذا سلّم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السلام وتردّ على المسلّم، يعني أنّ ردّ روحه الشريفة التفاتُ روحاني وتنزل إلى دوائر البشرية من الاستغراق في الحضرة العلية ـ كما قال السُبكي ـ.

٢ ـ ويحتمل أن يكون الخطاب على مقدار فهم المخاطبين في الخارج من الدنيا أنّه لا بدّ من عود روحه حتى يسمع ويجيب فكأنه

---

(١) التاج الجامع للأصول: ١/ ٢٩٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٤) قال الشيخ منصور: أي نطقي وإفاقتي من إستغراقي في أحوال الملكوت وإلاّ فالأنبياء أحياء في قبورهم. «التاج الجامع للأصول: ١/ ٢٩٠».

قال: أنا أُجيب ذلك تمام الإجابة، واسمعه تمام السماع، مع دلالته على ردّ الروح عند سلام أوّل مسلِّم، وقبضها بعد لم يرد ولا قائل بتكرّر ذلك إلى توالي موتات لا تُحصى.

مع أنّا نعتقد ثبوت الإدراكات كالعلم والسماع لسائر الموتى، فضلاً عن الأنبياء ويقطع بعود الحياة لكل ميّت في قبره كما ثبت في السنّة، ولم يثبت أنّه يموت بعد ذلك موتة ثانية بل ثبت نعيم القبر وعذابه وإدراك ذلك من الاعراض المشروط بالحياة لكن يكفي فيه حياة جزء يقع به الإدراك فلا يتوقف على البينة كما زعم المعتزلة[1].

إذن: الجواب الأوّل على كلام ابن تيمية ـ في عدم جواز طلب الشفاعة من الأنبياء ـ هو أنّهم أحياء في قبورهم فلم يكن طلب الشفاعة من الميّت.

والجواب الثاني: إنّ الشهداء أحياء بنصّ القرآن الكريم: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[2] ولا شك في أن درجة النبوّة أعظم من درجة الشهادة والشهداء، وأن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء[3]. فإذا كان القتيل في سبيل الله حي، فالنبي ﷺ كذلك حيّ قطعاً. وقد صرّح بذلك البيهقي في كتاب الاعتقاد: (الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدّت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربّهم كالشهداء)[4].

الجواب الثالث: لو فرضنا أن الميّت لا يسمع الكلام ولا يقدر

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٣) كنز العمال: ١٠/ ١٤١ رقم الحديث ٢٨٧١٥ ـ بحار الأنوار: ٢/ ١٤ عن أمالي الصدوق.
ونص الحديث في الكنز: يوزن يوم القيامة مداد العلماء، ودم الشهداء، فيرجّح عليهم مداد العلماء على دم الشهداء.
(٤) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥٥.

على الدعاء، لكن طلب الدعاء منه لا يوجب محذوراً ولا يوجب كفراً إذ يكون هذا مثل أن يطلب القراءة من الأعمى بظنه بصيراً.

الجواب الرابع: إنّ فعل السلف من الصحابة وغيرهم في الاستشفاع والاستغاثة وطلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته ـ وحتى من غير النبي ﷺ من الصالحين ـ يدل على مشروعيته وجوازه وسنورد الأمثلة على ذلك.

الجواب الخامس: إن الروح باقية ـ بعد الموت ـ غير فانية ويمكنها السؤال والدعاء. وقد استدل الفخر الرازي في تفسيره ذيل الآية الكريمة: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1] استدل على بقاء الأرواح بعد موت الأجسام بسبعة عشر دليلاً منها:

١ ـ قوله عليه السلام في خطبة طويلة: «**حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي...**» فهذا تصريح بأن في الوقت الذي كان فيه الجسد ميّتاً محمولاً كان ذلك الإنسان حيّاً باقياً فاهماً...

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[2] دلّ على أن الشيء الذي يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون حيّاً راضياً عن الله ويكون الله عنه راضياً، والذي يكون راضياً ليس إلاّ الإنسان فهذا يدل على أن الإنسان بقي حيّاً بعد موت الجسد...

٣ ـ قوله عليه السلام: «أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» و«من مات فقد قامت قيامته» وقوله: «القبر روضة من رياض الجنّة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.

أو حفرة من حفر النيران. . .» كل هذه النصوص تدل على أن الإنسان يبقى حيّاً بعد موت الجسد. . .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[١] أثبت كونهم مردودين إلى الله الذي هو مولاهم حال كون الجسد ميّتاً، فوجب أن يكون ذلك المردود إلى الله مغايراً لذلك الجسد الميّت.

٥ ـ نرى جميع فِرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زياراتهم، ولولا أنّهم بعد موت الجسد أحياء لكان التصدّق عنهم عبثاً. والدعاء لهم عبثاً، ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً، فالإِطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شيء غير هذا الجسد وأن ذلك الشيء لا يموت، بل الذي يموت هذا الجسد[٢].

والحاصل: إن الفطرة السليمة تشهد بحياة الروح بعد الموت والآيات الكريمة والسنّة الشريفة كذلك يشهدان على بقاءِ الروح.

وعليه: ما المانع وما المحذور من طلب الدعاء والشفاعة من الأرواح الطيبة التي هي أحياء بشهادة الكتاب والسنّة وبشهادة الفطرة السليمة؟ وهل هذا يوجب البدعة والكفر، والشرك، أو ينشأ عن عدم الرجوع إلى الفطرة وعدم التدبّر في النصوص؟

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢.
(٢) التفسير الكبير: ٤١/٢١.

رأي السُبكي في بقاء الروح:

سُئل السبكي عن الأرواح هل تفنى كما تفنى الأجسام؟

فأجاب: أمّا الأرواح فالسؤال عنها إمّا على مذهب الحكماء وإمّا على مذهب المتشرّعين: . . . وأمّا المشرّعون فقد اطبقوا على أنّها باقية بعد مفارقة البدن، فإن ذلك ممكن. وقد دلّت الشرائع على وقوعه ولا أعلم بين الشرائع خلافاً في ذلك إلاّ أن الإمام فخر الدين قال: في العالم هذه الاعتبارات العقلية إذا انضمّت إلى أقوال جمهور الأنبياء والحكماء أفادت الجزم ببقاء النفس. فقوله: جمهور الأنبياء يوهم عدم اجتماعهم على ذلك. وهذا الايهام غير معمول عليه ولا أظنّه أراده في أوّل كلامه أنّهم أطبقوا على بقائها.

فهذا ما يجب اعتقاده واستقر الشرائع والكتب المنزلة وآيات القرآن والأخبار المتكاثرة التي لا يمكن تأويلها ويقطع بالمراد منها ما يدل على بقاء النفوس بعد مفارقة البدن ولا يشك في ذلك أحد من أهل الإسلام لا عالم ولا عامي، بل زادوا على ذلك وادعوا إطلاق القول بحياة جميع الموتى ونقل جماعة من المتقدّمين الاجماع على ذلك وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ﴾[1] إن هذا ليس خاصّاً بمن يُقتل في سبيل الله وإنّما قصد بالآية الرد على الكفّار القائلين بعدم البعث وأن بالموت يفنى الإنسان بالكلية ولا يبقى له أثر من إحساس ونحوه. فردَّ الله عليهم، ولكن حياة الموتى مختلفة فحياة الشهيد أعظم وحياة المؤمن الذي ليس بشهيد دونه وحياة الكافر لما يحصل له العذاب دونه والكل مشتركون في الحياة ومنهم من يبلى جسده، ومنهم لا يبلى، والأرواح كلّها باقية. هذا دين الإسلام. ولو تتبع الإنسان آيات القرآن وأحاديث

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

النبي ﷺ الدالّة على ذلك لبلغت مبلغاً عظيماً ولا حاجة إلى التطويل في ذلك فإنّه معلوم من دين الإسلام بالضرورة[١].

وعليه فما حجّة الوهابية في التهجّم والتكفير لمن توسّل واستشفع بهذه الأرواح، أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين مع أن الأرواح باقية بضرورة دين الإسلام، بشهادة الروايات الكريمة والأحاديث الشريفة.

لعل حجّتهم، جهلهم وعدم تدبّرهم في الآيات والنصوص والجاهل معذور إن كان قاصراً لا مقصّراً.

الجواب السادس: إن الاعتقاد بأن الميّت يسمع، أو لا يسمع لا يكون من أصول الدين ولا من أركانه، وليس من الواجبات بحيث لو التزم أحد بخلافه يكون مبتدعاً. وعليه فمن اعتقد به: فهو إمّا مصيب مأجور، أو مخطىء معذور كما ورد في كتب الصحاح والسنن[٢]. فلا يوجب اعتقاده شركاً ولا إثماً كيف والفخر الرازي المفسّر الكبير[٣] يعتقد بأن الروح باقية والدعاء والزيارة والنذر والتصدّق للميّت إنّما هو بلحاظ هذه الجهة، فهل ينسب الكفر والشرك والبدعة إليه!!؟

كما أن المفسّرين قالوا في ذيل الآية الكريمة: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[٤] بأنها كالصريح أو هو صريح في أن النفوس وراء الأبدان[٥].

---

(١) فتاوى السُبكي: ٢/ ٦٣٦.

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ١٩٣ (كتاب الاعتصام) ـ صحيح مسلم: ٥/ ١٣١ ـ كتاب الأقضية.
هذا: وكتبنا خالية عن هذا النص، ممّا يدل على عدم اعتباره عندنا ـ سنداً ـ أضف إلى أن سنده أيضاً مخدوش ـ على بعض الطرق ـ على مبناهم إذ في طريقة مولى عمرو بن العاص وهو مجهول وفي الطرق الأخرى إرسال. انظر عمدة القاري: ٢٥/ ٦٧.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي الطبري الأصل الرازي المولد، الأشعري الأصول، الشافعي الفروع، المعروف بالإمام فخر الدين والملقب بابن الخطيب. . . الكنى والألقاب: ٣/ ١٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٥) أنظر تفسير الميزان: ١٠/ ١٢١.

من الروايات في الشفاعة:

١ ـ عن أنس: سألتُ النبي أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك؟ قال: على الصراط[(١)].

٢ ـ أتى سواد بن قارب إلى رسول الله ﷺ وطلب منه الشفاعة في أبيات:

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب[(٢)]

طلب الشفاعة في سيرة الصحابة:

١ ـ عن ابن عباس لما فرغ علي عليه السلام من تغسيل النبي ﷺ قال: بأبي أنت وأُمّي... طبتَ حيّاً وطبتَ ميّتاً... اذكرنا عند ربّك[(٣)].

٢ ـ كشف أبو بكر عن وجه النبي ﷺ وقبّله وقال مثله[(٤)].

٣ ـ إن الناس أصابهم القحط في خلافة عمر بن الخطاب، فجاء بلال بن الحارث ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ إلى قبر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ استسق لأُمّتك، فإنّهم قد هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنّهم سيسقون[(٥)].

إذن فالاستسقاء منه وهو في البرزخ، ودعاؤه لربّه في هذه الحالة غير ممتنع، وكذلك علم النبي ﷺ ـ وهو في البرزخ ـ بسؤال من يسأله فلا مانع من استسقائه، وغير ذلك كما كانوا يسألونه في الدنيا، فلا يكون بدعة ولا شركاً ولا كفراً.

---

(١) الجامع الصحيح: ٤/ ٦٢١ ح٢٤٣٣.
(٢) الدرر السنية: ٢٩، كشف الارتياب: ٢٦٣، الإصابة: ٢/ ٩٦، أُنظر أُسد الغابة ٣/ ٣٧٥.
(٣) أمالي المفيد: ١٠٥ وعنه البحار: ٢٢/ ٥٢٧.
(٤) أنظر كشف الارتياب: ٢٦٥ نقلاً عن خلاصة الكلام لزيني دحلان.
(٥) فتح الباري ٢/ ٣٩٨، أُنظر السنن الكبرى ٣/ ٣٥١، ووفاء الوفاء: ٤/ ١٣٧٤.

فإن قلت: إنَّ الاستشفاع بالميّت ممنوع من حيث توهّم عبادته.

قلت: إن الاستشفاع بالحيّ والطلب منه كذلك فيه شبهة العبادة له، فما هو الدافع لهذه الشبهة؟

إذن بعد هذه الأدلّة والنصوص والشواهد لا يبقى مجال لمزاعم الوهابية بحرمة طلب الشفاعة من الميّت.

ومن الغريب دعواهم عدم ورود ذلك من أي صحابي وتابعي.

نعم: إنّ أمثال هذه الفتاوى تدل على عدم اطلاع قائلها على مصادر التشريع، ولا فعل الصحابة، وتدل على أنها قول بغير علم.

الفصل الثاني

التبرّك بالقبور

١ ـ رأي الوهابية
٢ ـ مناقشة الفكرة
٣ ـ تبرّك الصحابة بالقبور
٤ ـ رأي فقهاء السنّة في التبرّك
٥ ـ رواية في تقبيل القبر
٦ ـ التبرّك بالآثار
٧ ـ رأي الفقهاء في ذلك
٨ ـ الاستشفاء بتراب المدينة
٩ ـ التبرّك بآثار النبي ﷺ
١٠ ـ قبور وجنائز يتبرّك بها

التبرّك بالقبور

يرى ابن تيمية وأتباعه حرمة التبرّك والتمرّغ بالقبور الشريفة وتقبيلها، وكفّروا المسلمين ورموهم بالشرك وسمّوهم القبوريين وعبّاد القبور، وإنّه كفعل الجاهلية بالأصنام والأوثان و. . .

والجواب:

أوّلاً: حتى ولو لم ينص الشرع على جوازه، ولكنّه راجح شرعاً لأنه من تعظيم الشعائر. أمّا قبور غير الأنبياء فسيأتي البحث عنها، وأمّا قبور الأنبياء فلأن لهم حرمة وشأناً ولا تزول حرمتهم بالموت.

قال الإمام مالك للمنصور: حرمة النبي ميّتاً كحرمته حيّاً[1]. فالنبي ﷺ والصلحاء لا تزول حرمتهم بالموت.

ثانياً: إذا كان التعظيم يُعَدُّ عبادة وهو حرام واحترام القبور وتقبيلها تُعدُّ عبادة وهي شرك لكان تعظيم الكعبة والطواف بها شركاً وكذلك تعظيم الحجر الأسود وتقبيله، والحِجْر ومقام إبراهيم، والمساجد والمشاعر، وتعظيم الأبوين وخفض جناح الذّل لهما، وسجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف وأبويه له، وتعظيم الجنود لأُمرائهم، وتعظيم الصحابة للنبي ﷺ والخلفاء للأنبياء، وتعظيم الوهابيين لأُمرائهم.

ثالثاً: إن فعل الصحابة والصلحاء أيضاً يخالف رأي الوهابية بحرمة مسّ القبر وتقبيله والتمرّغ به والتبرّك بترابه.

---

(١) أنظر كشف الارتياب: ٣٤٣.

١ ـ تبرّك الزهراء عليها السلام بتراب القبر:

عن علي عليه السلام «لما رمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة فوقفت على قبره صلى الله عليه وآله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّتْ عليّ مصائبٌ لو أنّها صُبّت على الأيّام صِرنَ لياليا»[١]

٢ ـ تبرّك أبو أيوب الأنصاري بقبر النبي صلى الله عليه وآله:

عن داود بن أبي صالح، أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فإذا به أبو أيوب الأنصاري، فقال: نعم إني لم آتِ الحجر إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم آت الحجر. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن إبكوا على الدين إذا وليه غير أهله»[٢].

أقول: وقد صحّحه الحاكم في مستدركه وكذلك الذهبي.

قال السبكي: «فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر»[٣].

قال الأميني: إنّ هذا الحديث يعطينا خبراً بأن المنع من التوسل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الأمويين[٤].

(١) إرشاد الساري: ٣/ ٣٥٢، الاتحاف للشبراوي: ٩٠ وفاء الوفاء: ٤/ ١٠٤، مشارق الأنوار: ٦٣، الفتاوى الفقهية لابن حجر ٢/ ١٨، السيرة النبوية ٢/ ٣٤٠، كشف الارتياب: ٣٤٧، المواهب اللّدنية: ٣/ ٤٠٠.

(٢) مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٦٠ الرقم ٨٥٧١، وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٤.

(٣) أنظر وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٤، كشف الارتياب: ٣٤٧.

(٤) الغدير: ٥/ ١٥.

٣ ـ تبرّك بلال بقبر النبي ﷺ:

إن بلالاً رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟ فانتبه حزيناً، وركب راحلته، وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويُمَرِّغ عليه...[١].

٤ ـ تبرك ابن عمر:

عن ابن حملة: إن عبد الله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالاً وضع خدّه عليه أيضاً[٢].

٥ ـ تبرك عطاء: قال مصعب الزبيري: سمعت ابن أبي الزبير يقول: حدَّثنا مالك، قال: رأيت عطاء بن أبي رباح دخل المسجد وأخذ برمّانة المنبر، ثم استقبل القبلة[٣].

التعريف بعطاء: قال الذهبي: هو الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم، حدَّث عن الصحابة روى له أرباب الصحاح[٤].

٥ ـ تبرّك ابن المنكدر[٥] (التابعي):

كان يجلس مع أصحابه وكان يصيبه الصمات[٦] فكان يقوم كما

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٥٨، أسد الغابة: ١/ ٢٠٨، شفاء السقام: ٣٩.
(٢) كشف الارتياب: ٤٣٦، عن الخطيب ابن حمله، شرح الشفاء: ٢/ ١٩٩، وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٥.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٥٤.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٨.
(٥) قال الذهبي: هو الإمام الحافظ القدوة، شيخ الإسلام ولد سنة بضع وثلاثين وحدّث عن النبي(ص) وعن سليمان، وأبي رافع و... روى عنه الصحاح الستة. وثقه ابن معين وأبو حاتم...، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٢.
(٦) قال ابن منظور: الصمات: اعتقال اللسان أو السكوت الطويل. لسان العرب: ٢/ ٥٥ مادة صمت.

هو، يضع خدّه على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: إنّه ليصيبني خطره، فإذا وجدت ذلك استشفيتُ بقبر النبي ﷺ[(١)].

وعن الذهبي: «استعنتُ بقبر النبي»[(٢)].

رأي فقهاء السنّة في التبرّك والتمسّح:

١ ـ فتوى ابن حنبل: قال ابن جماعة الشافعي: «لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية قال عبد الله: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله ويتبرّك بمسّه ويقبّلُه، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى؟ قال: لا بأس به»[(٣)].

وفي العلل: «يريد بذلك التقرّب إلى الله عز وجل؟ فقال أحمد: لا بأس بذلك»[(٤)].

٢ ـ وعن ابن العُلا: إن الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك.

قال: فأريناه ابن تيمية، فصار يتعجّب من ذلك القول، ويقول: عجبتُ من أحمد، عندي جليل! هذا كلامه!![(٥)]

ونحن أيضاً نعجب من موقف ابن تيمية تجاه أحمد بن حنبل إذ لم يرمه بالشرك والبدعة والكفر!!

---

(١) وفاء الوفاء: ٢/ ٤٤٤، انظر الغدير: ٥/ ١٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣.

والملفت للانتباه والمثير للأسف هو أنّ مخرجي كتاب سير أعلام النبلاء والمعلّقين عليه، تأثروا بتيار الفكر الوهابي، فتراهم إذا وصلوا إلى هذا النمط من الروايات يسارعون بلا روية إلى طعنها: إما بضعف السند وإما بالمخالفة لما يتوهمونه أنه العقيدة الإسلامية، وليس هو إلاّ الفكرة الوهابية.

(٣) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤١٤.

(٤) الجامع في العلل ومعرفة الرجال: ٣/ ٣٢، الرقم ٢٥٠.

(٥) وفاء الوفاء ٤: ١٤١٤.

٣ ـ فتوى الرملي الشافعي: «إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستلمه، أو قبّله بقصد التبرّك فلا بأس به»[١].

٤ ـ وقال أيضاً: «يكره أن يقبّل التابوت الذي يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء... نعم إن قصد التبرّك لا يكره، كما أفتى به الوالد... فقد صرّحوا بأنّه إذا عجز عن استلام الحَجر سنّ له أن يُشِير بعصا أو يقبّلها»[٢].

٥ ـ فتوى محبّ الدين الطبري الشافعي:

«يجوز تقبيل القبر ومسّه، وعليه عمل العلماء الصالحين»[٣].

٦ ـ فتوى شهاب الدين الخفاجي الحنفي:

قال في شرحه على الشفا عند قوله: يكره مسّه وتقبيله، وإلصاق الصدر؛ قال: وهذا أمرٌ غير مجمع عليه. ولذا قال أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله والتزامه[٤].

٧ ـ ابن أبي الصيف اليماني، أحد علماء مكة من الشافعية:

نُقل عنه: «جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين»[٥].

٨ ـ فتوى الزرقاني المالكي: «تقبيل القبر الشريف مكروه إلاّ لقصد التبرّك فلا كراهة»[٦].

---

(١) حكاه الشبراملسي عن الشيخ أبي الضياء ـ المتوفى ١٠٨٧ـ في حاشية المواهب اللدنية، وكنز المطالب للحمزاوي: ٢١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أسنى المطالب: ١/ ٣٣١، وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٧.

(٤) شرح الشفا: ٣/ ١٧١ ـ وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٤ ـ الغدير: ٥/ ١٣٤.

(٥) الغدير: ٥/ ١٥٣.

(٦) شرح المواهب: ٨/ ٣١٥.

٩ ـ العزامي الشافعي قال عند قول ابن تيمية: من طاف بقبور الصالحين أو تمسّح بها كان مرتكباً أعظم العظائم.

قال: وأتى بكلام ملتبس فمرّة يجعله من الكبائر، وأُخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك. قد فرغ العلماء المحقّقون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوينها قبل أن يولد هو بقرون فيأبى إلاّ أن يخالفهم، وربّما ادّعى الإجماع على ما يقول، وكثيراً ما يكون الاجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله كما يعلم ذلك من أمعن في كلامه وكلام من قبله وكلام من بعده ممّن تعقبه من أهل الفهم المستقيم والنقد السليم. وإليك مثالاً: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم فيه على ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً والمنع مطلقاً على وجه كراهة التنزيه الشديدة ولكنها لم تبلغ حدّ التحريم. والتفصيل بين من غلبه شدّة شوق إلى المزور فتنتفي عنده هذه الكراهة، ومن لا، فالأدب تركه. وأنت إذا تأمّلت في الأُمور التي كفّر بها المسلمين.. ترجع إلى مقدّمتين صدقت كبراهما وهي كل عبادة لغير الله شرك... وكذبت صغراهما وهي قوله: كل نداء لميت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه فهو عبادة لغير الله»[1].

١٠ ـ ابن حجر: «استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كلّ من يستحق التعظيم من آدمي وغيره...»[2].

١١ ـ الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي: «يكره تقبيل القبر واستلامه إلاّ أن قصد به التبرّك بهم فلا يكره»[3].

---

(١) فرقان القرآن: ١٣٣، الغدير: ٥/ ١٥٤.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٥.
(٣) شرح الفقه الشافعي: ١/ ٢٧٦، الغدير: ٥/ ١٥٤.

١٢ ـ وقال الشيخ العدوي الحمزاوي المالكي: «ولا مرية حينئذٍ أنّ تقبيل القبر الشريف لم يكن إلاّ للتبرّك، فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرّك»(١).

رواية في تقبيل القبر:

روى في كشف الارتياب عن كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه:

«لا بأس بتقبيل قبر الوالدين، لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي حلفت أن أُقبّل عتبة باب الجنّة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبّل رِجلَ الأمّ وجبهة الأب. قال: يا رسول الله إن لم يكن أبواي حيين؟ قال: قَبّل قبرهما. قال: فإن لم أعرف قبرهما؟ قال: خطّ خطين انوِ أحدهما قبرَ الأمّ، والآخر قبر الأب فقبّلهما فلا تحنث في يمينك»(٢).

التبرّك بالآثار:

إن سيرة المسلمين قديماً وحديثاً جارية على التبرك بمنبر رسول الله ﷺ وموضع صلاته وموضع قدمه، والتبرّك بما مسّه النبي الكريم من الأشياء والتبرّك بتراب المدينة، خصوصاً تراب قبر سيّدنا حمزة عليه السلام.

وإليك بعض النماذج في ذلك:

أ ـ التبرّك بالمنبر:

---

(١) كنز المطالب: ٢٠، الغدير: ٥/ ١٥٤، مشارق الأنوار: ١/ ١٤٠.
(٢) كشف الارتياب: ٣٥٠.

كان لمنبر النبي ﷺ عند المسلمين الحرمة والمكانة بحيث كان بعض الفقهاء يتأبى من الحلف على المنبر تعظيماً له؛ وأنّهم كانوا يتبرّكون به:

١ ـ البخاري: قضى مروان باليمين على زيد بن ثابت على المنبر[١].

٢ ـ العاقولي: بعد ذكره منبر رسول الله ﷺ قال: «إن هذا المنبر تهافت على طول الزمان فجدّده بعض خلفاء بني العبّاس، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي ﷺ أمشاطاً للتبرّك بها كما أنّهم ـ أي الصحابة ـ كانوا يهتمّون بمسّه»[٢].

٣ ـ وفي كتاب الآثار النبوية: «منبره ﷺ كان بمكانه حتى احترق وكان لإحراقه في سكان المدينة الطيبة وقعٌ أليمٌ لما فاتَهُم من مسِ رمّانتهِ التي كان يضع يده المباركة عليها ولمْسِ موضع قدميه الشريفين»[٣].

٤ ـ عن يزيد بن عبد الله بن قسيط[٤] قال: «رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمّانةِ المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثُمّ استقبلوا القبلة يدعون»[٥].

٥ ـ ذكر الشيخ أحمد بن عبد الحميد ـ وهو من أعلام القرن العاشر ـ تبرّك الناس بأعواد منبر النبي ﷺ[٦].

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ٢٤٣.
(٢) راجع كتاب التبرّك: ١٣٩ للعلاّمة الأحمدي.
(٣) الآثار النبوية: ٣١.
(٤) قالوا فيه: (هو الإمام الفقيه الثقة، روى عن أصحاب الصحاح الستة، وأنه ثقة فقيه، يستعان به في الأعمال لأمانته وفقهه مات عام ١٢٢هـ) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٦٦.
(٥) الطبقات الكبرى: ١/ ١٣، وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠١.
(٦) عمدة الأخيار: ١٣٥.

٦ ـ السمهودي: «إن منبر النبي ﷺ جُعل عليه منبر كالغلاف وجُعِلَ في المنبر الأعلى طاق ممّا يلي الروضة، فيُدْخلُ الناس منها أيديهم، يمسحون منبر النبي ﷺ ويتبرّكون بذلك»[١].

فتوى الفقهاء في ذلك:

١ ـ روي عن مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري، شيخُ مالك، وكذا عن ابن عمر، وابن المسيّب: جواز مسح رمانة المنبر[٢].

٢ ـ وأما من طرق أهل البيت عليهم السلام: فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «وإذا فرغتَ من الدعاء عند قبر النبي ﷺ فآتِ المنبر فامسحه بيدك وخذ برمّانتيه، وهما السفلان، وامسح عينيك ووجْهكَ به، فإنّه يقال: إنّه شفاء للعين»[٣].

٤ ـ قال إسحاق بن إبراهيم: «ومما لم يزل شأن مَن حج، المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد النبي ﷺ والتبرّك برؤية روضتهِ ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطىء قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه ونزل جبرائيل عليه. وبمن عمّره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كلّه»[٤].

٥ ـ الغزالي: «وكلُّ من يتبرك بمشاهدته في حياته، يتبرّكُ بزيارته بعد وفاته ويجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض»[٥].

(١) وفاء الوفاء: ٢/ ٣٩.
(٢) الصارم المنكى: ١٣٢، وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٣، انظر ترجمة يحيى في سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٦٨.
(٣) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٧٠، باب ٧ ح١.
(٤) الصارم المنكى: ١٤٨.
(٥) إحياء العلوم: ١/ ٢٥٨.

التبرّك بتراب القبر وتراب المدينة:

قد ثبت أن المسلمين كانوا يتبرّكون بتراب قبر النبي ﷺ وقبر حمزة وبتراب المدينة مطلقاً، كما وردت نصوص في أن تراب المدينة شِفاء من كل داء، أو من الجذام، أو من الصداع أو غير ذلك. وقد أفتى فقهاء المسلمين بجواز ذلك بل رجحانه:

١ ـ قال السمهودي: «كانوا ـ أي الصحابة ـ وغيرهم يأخذون من تراب قبر النبي ﷺ. فأَمرت عائشة فضرب بالكوة فَسُدّت»[١].

وقيل: إن ضربها لأجل أنه يوجب نفاد تراب القبر الشريف وخراب القبة الشريفة[٢].

٢ ـ وقال أيضاً: بعد ذكره تبرّك المسلمين بتراب المدينة: إنّهم جرّبوا تراب قبر صهيب[٣] للحمّى. ثم قال الزركشي: استثني من عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها ـ لكونها حرماً ـ تربة حمزة لاطباق الناس على نقلها للتداوي[٤].

٣ ـ يقول الصنهاجي: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرّك هل يجوز أن يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة في القديم من الزمان[٥].

٤ ـ قال ابن فرحون: «والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من

---

(١) وفاء الوفاء: ١/ ٥٤٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) بل أرض صُعيب اسم موضع بالمدينة كما يأتي.
(٤) وفاء الوفاء: ١/ ٦٩.
(٥) وفاء الوفاء: ١/ ١١٦.

مشهد سيدنا حمزة، ويعملون خرزاً يشبه التسبيح. واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة»[١].

أحاديث في الاستشفاء بتراب المدينة:

١ - السمهودي: روينا في كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزي حديث: غبار المدينة شفاء من الجذام.

٢ - وفي جامع الأصول لابن الأثير عن سعد قال: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك تلقَّاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً، فخمَّر - أو فغطَّى - بعضُ مَنْ كان مع رسول الله ﷺ أنفه فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال: «والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء».

٣ - وعن أبي سلمة: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «غبار المدينة يطفي الجذام».

قلت: وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام وكان قد أضرَّ به كثيراً، فصار يخرج إلى الكومة البيضاء، ببطحان بطريق قباء ويتمرّغ بها ويتخذها منها في مرقده فنفعه ذلك جدّاً.

٤ - روى ابن زبالة ويحيى بن الحسن بن جعفر العلوي وابن النجار كلاهما في طريقه «أن النبي ﷺ أتى بَلحارث، فإذا هم رَوْبى[٢]، فقال: ما لكم يا بني الحارث روبى؟ قالوا: أصابتنا يا رسول الله هذه الحمّى. فقال: فأين أنتم من صُعيب؟ قالوا: يا

(١) وفاء الوفاء: ١/ ١١٦.

(٢) رَوْبى: جمع روبان وهو الخاثر النفس، الشديد الأعياء، المختلط العقل. انظر القاموس المحيط: ١/ ٨٠.

رسول الله ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء، ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله، تراب أرضنا بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربّنا» ففعلوا فتركتهم الحمّى.

قال ابن النجار عقبة: قال أبو القاسم بن يحيى العلوي: صعيب: وادي بطحان دون الماجشونية، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه، وهو اليوم إذا وَبَأ إنسان أخذ منه.

وقال ابن النجار: وقد رأيتُ أنا هذه الحفرة اليوم، والناس يأخذون منها، وذكروا أنهم جربوه فوجوده صحيحاً.

قال: وأخذت أنا منه أيضاً.

قلت: وهذه الحفرة موجودة اليوم مشهورة خَلفاً عن سلف يأخذ الناس منها وينقلونه للتداوي وقد بعثتُ منها لبعض الأصحاب، أخذاً ممّا ذكروه في أخذ نبات الحرم للتداوي.

ثم قال السمهودي بعد كلام الزركشي: ينبغي أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة عليه السلام، لاطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع.

فقلت: عند الوقوف ـ على كلام الزركشي ـ أين هو من تراب صعيب[1].

التبرّك بالنقود والذهب الذي مسّهُ النبي ﷺ:

١ ـ عن جابر بن عبد الله قال: «كنتُ مع النبي ﷺ . . . وكنت على جملٍ فاعتلَّ، قال فلحقني رسول الله ﷺ وأنا في آخر الناس

(١) وفاء الوفاء: ١/ ٦٩.

فقال: ما لكَ يا جابر؟ قلت: إعتلّ بعيري، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره، قال: فما زلت إنّما أنا في أوّل الناس... فلما دنونا من المدينة قال لي رسول الله ﷺ ما فعل الجمل؟ قلت: هو ذا قال: فبعنيه قلت: لا بل هو لك... قال: لا قد أخذته بأُوقية، إركبه فإذا قدمتَ فائتنا به، قال: فلما قدمتُ المدينة جئتُ به فقال: يا بلال زن له وقية وزده قيراطاً، قال: قلت هذا قيراط زادنيه رسول الله ﷺ لا يفارقني أبداً حتى أموت. قال: فجعلتُهُ في كيس فلم يزل عندي حتى جاء أهل الشام يوم الحرّة، فأخذوه فيما أخذوا»[1].

فها هو جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي يتبرّك ويحتفظ - وفي حياة النبي - بقيراطٍ زاده النبي ﷺ ويؤكّد على اصطحابه إلى أن يموت.

٢ - عن بعض النساء اللاتي خرجن مع رسول الله ﷺ إلى خيبر وأعطاهن النبي سهماً من الغنائم قالت: «أتيت رسول الله ﷺ في نسوة فقلت يا رسول الله قد أردنا الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا.

فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، فلما افتتح خيبر ورضخ[2] لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً، وأوصت أنها تدفن معها»[3].

فهذه الصحابية تتبرّك بقلادة مستها يد رسول الله ﷺ وتفتخر بها وتوصي أن تدفن معها. ولم ينكر عليها أحد، ولا رماها بالبدعة والشرك والكفر.

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ٣١٤، سنن النسائي: ٧/ ٢٨٩.
(٢) الرّضخ: العطاء اليسير، مجمع البحرين: ٢/ ٤٣٢ مادة «رضخ».
(٣) السيرة الحلبية: ٢/ ٧٧٠.

التبرّك بآثار النبي ﷺ:

١ ـ عن أنس بن مالك قال: «رأيت رسول الله ﷺ والحلاّق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلاّ في يد رَجُلٍ»[١].

٢ ـ وعن محمد بن سيرين، قلت لعبيد: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قِبل أنس، قال: لأن يكون عندي شعرة منه أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها[٢].

٣ ـ وعن كبشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فَشَرِب من في قربةٍ معلّقةٍ قائماً فقمتُ إلى فيها فقطعتُه[٣].

وعن ابن ماجة زيادة: تبتغي بركة موضع في (أي فم) رسول الله ﷺ[٤].

ثم أن الترمذي حسّن الحديث وصحّحه[٥]. ورواه أحمد عن أنس عن أمّ سليم[٦].

٤ ـ إن سهل بن سعد يحدّث من حوله: إن النبي ﷺ حينما جلس هو وأصحابه في سقيفة بني ساعدة، وطلب من سهل أن يسقيه ماءً، يقول: فأخرجتُ لهم هذا القدح فأسقيتُهم فيه، فأخرج ـ يقول الراوي ـ لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك، فوهبه له.

---

(١) جامع الأصول: ٤/ ١٠٢. وكانوا يقتتلون على قطرات وضوئه للاستشفاء بها. البخاري: ٣/ ٣٥ الرقم ١٨٧ ـ تاريخ الطبري: ٣/ ٢٧٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الجامع الصحيح للترمذي: ٤/ ٣٠٦ الرقم ١٤٩٢.
(٤) سنن ابن ماجة: ٢/ ١١٣٢ الرقم ٣٤٢٣.
(٥) الجامع الصحيح للترمذي: ٤/ ٣٠٦.
(٦) مسند أحمد: ٣/ ١١٩.

قال البخاري: رأيت هذا القدح بالبصرة وشربتُ منه، وكان أُشتري من ميراث النضر بن أنس، بثمانمائة ألف[١].

٥ ـ التبرّك بالنبي ﷺ: عن عائشة أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرّك عليهم[٢].

٦ ـ الإستشفاء بجبةِ النبي ﷺ: مسلم ـ عن أسماء بنت أبي بكر... هذه جبة رسول الله ﷺ فَاخرجت إليّ جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفَرجيها مكفوفين بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتّى قبضت، فلما قبضت قبضتها وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها[٣].

الشرح:

١ ـ كسروانية: منسوب إلى كسرى ملك فارس، وهي منصوبة صفة لجبة، وقيل مجرورة صفة طيالسة.

٢ ـ لبنة: بكسر اللام وسكون الموحدة: رقعة توضع في جيب القميص والجبة.

٣ ـ فرجيها: أي شقَّيها شق من خلف وشق من قدام.

٤ ـ مكفوفين: أي مخيطين. وللنووي فيها توضيح آخر فراجع ثم أن أسماء هذه بقيت إلى سنة ثلاث وسبعين للهجرة[٤] وبعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير، وتوفيت عائشة قبل عام ستين بالهجرة فكانت قصة استشفائها ـ وهي صحابية ـ بجبة النبي ﷺ مستمراً ـ على الأقل ـ من

---

(١) فتح الباري: ١٠١ ـ ١٠٣.
(٢) الاستيعاب: ١/٥ عن صحيح مسلم.
(٣) صحيح مسلم: ٣/ ٣١٤/ كتاب اللباس.
(٤) طبقات ابن سعد ٨: ٢٥٥. المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٥، سير أعلام النبلاء ٢: ٢٩٥.

عام ستين إلى ثلاث وسبعين بمنظر ومرأى من الصحابة، كالحسين عليه السلام وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، ولم يرد الاعتراض والنهي من احدهم، مما يدلُّ على أن جوازه كان أمراً مسلَّماً ومفروغاً منه. نعم إن نغمة التحريم، إنما بدأت تُسمع وتثار من يوم ظهرت غرائب ابن تيمية ثم بعدها بدأ تيار ابن عبد الوهاب، فصار الاستشفاء بجبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظائره حراماً وشركاً!!! ونُسخ الجواز، بفتوى الحراني!! سبحان الله.

تبرّك الفاكهاني بنعلٍ منسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وعن جمال الدين عبد الله بن محمّد الأنصاري[1] المحدّث قال: رحلنا مع شيخنا تاج الدين الفاكهاني[2] إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي بدار الحديث الأشرفية بدمشق وكنت معه فلمّا رأى النعل المكرّمة حسر عن رأسه وجعل يقبّلُه ويمرّغ وجهه عليه ودموعه تسيل وأنشد:

فلو قيل للمجنون: ليلى ووصلها	تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبارٌ من تراب نعالها	أحبُ إلى نفسي وأشفى لبلواها[3]

سيرة ابن عمر:

عن نافع: لو نظرت إلى ابن عمر، إذا اتّبع رسول الله لقلت هذا مجنون[4].

---

(١) لاحظ ترجمته في معجم المؤلفين: ٦/ ١١٥.

(٢) قالوا فيه: «فقيه مشارك في الحديث والأصول والعربية توفي عام ٧٣١هـ. ومن تصانيفه التحفة المختارة في الرّد على منكر الزيارة» معجم المؤلفين: ٧/ ٢٩٩.

(٣) الديباج المذهب: ١٨٧، الغدير: ٥/ ١٥٥.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣، حلية الأولياء: ١/ ٣١٠.

وقال أيضاً: إن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ كلّ مكان صلّى فيه، حتى أنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصبّ في أصلها الماء، لكيلا تيبس[(١)].

وعن مالك: إن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله، ويهتمّ به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك[(٢)].

عن نافع عن ابن عمر: أنّه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول: لعلّ خُفاً يقع على خفٍ، يعني راحلة النبي ﷺ[(٣)].

كان ابن عمر يتبرّك بمقعد النبي ﷺ من منبره[(٤)].

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري أنّه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم يضعها على وجهه[(٥)].

سيرة محمد بن المكندر:

وكان محمد بن المنكدر[(٦)] يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرّغ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع[(٧)].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣، أسد الغابة: ٣/ ٣٤١.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٧، حلية الأولياء: ١/ ٣١٠.
(٤) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٦.
(٥) المغني لابن قدامة: ٣/ ٥٥٩.
(٦) وثقة ابن معين وأبو حاتم، وروى له الستة في صحاحهم وقالوا فيه إنه الحافظ الإمام، وإنه من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٨.
(٧) وفاء الوفاء: ٤/ ١٤٠٦، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٩.
ثم أن رؤيته للنبي كانت في المنام لا في اليقظة، وذلك لأنه تابعي وولادته عام بضع وثلاثين للهجرة.

سيرة المامون:

قال المأمون ليحيى بن أكثم إن الرجل ليأتيني بالقطعة من العود أو بالخشبة، أو بالشيء الذي لعل قيمته لا تكون إلاّ درهماً أو نحوه، فيقول: إنَّ هذا كان للنبي ﷺ أو قد وَضَع يده عليه أو مسّه، وما هو عندي بثقة ولا دليل على صدق الرجل، إلاّ أني بفرط النية والمحبة، أقبل ذلك، فاشتريه بألف دينار وأقل وأكثر، ثمّ أضعَهُ على وجهي وعيني، وأتبرّك بالنظر إليه وبمسّه فأستشفي به عند المرض يصيبني أو يصيب من أهتمّ به فأصونه كصيانتي لنفسي وإنما هو عودٌ لم يفعل هو شيئاً ولا فضيلة له، تستوجب به المحبة إلاّ ما ذكر من مسّ رسول الله ﷺ[١].

أقول: ويحيى بن أكثم هذا هو من أئمة السنة وعلماء الناس كما عن ابن كثير[٢]. وهو قاضي القضاة والفقيه العلامة ومن أئمة الاجتهاد كما عن الذهبي[٣].

والمأمون هذا الذي يقال عنه: كان أمّاراً بالعدل محمود السيرة، ميمون النقيبة فقيه النفس، يُعدّ من كبار العلماء! تراه يتبرّك بالأشياءِ المنسوبة إلى النبي ﷺ، ويرى التبرّك أمراً مشروعاً وجوازه مفروغاً عنه، ويذكر هذا الأمر عند يحيى الذي هو من فقهاء العصر، ولا يرده بل يقرره على الجواز.

---

(١) تاريخ بغداد لطيفور: ٤٥.

(٢) البداية والنهاية: ١٠/٣١٦، هذا من باب المماشة، وإلاّ فابن أكثم معروف بعبثه بالمُرد، انظر: سير أعلام النبلاء: ١٢/ ١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٢٧٩، ولا منافاة عند البعض بين كونه أماراً بالعدل وشربه الخمر: ١٠/ ٢٧٦، وإن حاول المعلق الدفاع عنه كعادته في هذه التعاليق.

التبرك بحجرٍ من بيت فاطمة عليها السلام:

عن يحيى بن عباد: أنه روى أن بيت فاطمة الزهراء عليها السلام لما أخرجوا منه فاطمة بنت الحسين وزوجها الحسن بن الحسن وهدّموا البيت، بعث حسنُ ابنه جعفراً وكان أسنَ ولده وقال: انظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا. هل يُدخلونه في بنيانهم؟ فرصدهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر، فأخبر أباه، فخرَّ ساجداً وقال: ذلك حجرٌ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي إليه إذا دخل إلى فاطمة، أو كانت فاطمة تصلّي إليه - الشك من يحيى - وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين عليهما السلام على ذلك الحجر.

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين، ولم أرَ فينا رجلاً أفضل منه، إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسّح[1] به.

أقول: فإذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة فاطمة عليها السلام ولديها الحسنين عليهما السلام؛ وبصلاتها أو صلاة أبيها صلى الله عليه وآله إليه؛ فكيف بتربة ضمّت جسد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا يحق التبرّك بها وطلب الحاجة إلى الله عند تلك التربة وذلك القبر؟

التبرك بحجرٍ من المروة:

عن رزين مولى علي بن عبد الله بن عباس أن علياً كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة فيتخذه مصلّى يسجد عليه[2].

---

(١) كشف الارتياب: ٣٥٢، وفاء الوفاء.
(٢) وفاء الوفاء: ١/ ١١٥.

قبور وجنائز يتبرّك بها:

١ ـ قبر سعد بن معاذ: إن أَحَداً أخذ من تراب سعد، فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك[١].

٢ ـ قبر عبد الله الحداني: المقتول سنة ١٨٣هـ قُتل يوم التروية كان الناس يأخذون من تراب قبره كأنّه مسك يُصيّرونه في ثيابهم[٢].

٣ ـ قبر معروف الكرخي: قال ابن الجوزي: قبره ظاهر يتبرّك به في بغداد. وكان إبراهيم الحربي يقول: قبرُ معروف: الترياق المجرّب[٣].

٤ ـ قبر أحمد بن حنبل: إمام الحنابلة المتوفى ٢٤١هـ. قبره ظاهر مشهور يزار ويتبرّك به[٤].

٥ ـ قبر الخضر بن نصر الأربلي الفقيه الشافعي المتوفى ٥٦٧هـ نقل ابن كثير عن ابن خلكان: قبره يزار وقد زرته غير مرّة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبرّكون به[٥].

والحاصل أنا طالما نرى الصحابة والتابعين والمحدّثين يتبرّكون بآثار رسول الله ﷺ، هذا يتبرّك بشعرة من شعراته ﷺ وذلك يتبرّك بـ«فم قربةٍ» شَرِب منها، وثالث يتبرّك بنعله ﷺ ورابع يتبرّك بموضع خف بعير رسول الله ﷺ وخامس يتبرّك بالعود، أو الخشبة التي كانت

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ١٠، سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٨٩، وهو السيد الكبير، أبو عمرو الأنصاري الذي قيل اهتز العرش لموته. انظر سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٧٩، وعندنا أيضاً: أنّه صحابي جليل، أنظر: معجم رجال الحديث: ٨/ ٩١، وتنقيح المقال: ٢/ ٢١، مستدركات علم الرجال: ٤/ ٤٣.

(٢) حلية الأولياء: ٢/ ٢٥٨، تهذيب التهذيب: ٥/ ٣١٠.

(٣) صفة الصفوة: ٢/ ٣٢٤.

(٤) مختصر طبقات الحنابلة: ١٤.

(٥) البداية والنهاية: ١٢/ ٣٥٣، انظر الغدير: ٥/ ٢٠٣.

لرسول الله ﷺ، وسادس يتبرّك بتراب قبره ﷺ وهلمّ جراً. وليسوا أفراداً عاديين، فمنهم الصحابة ومنهم التابعون، ومنهم أئمّة الحديث وأصحاب الصحاح والسنن أو مشايخهم والفقهاء.

وبعد هذا كلّه فما بالُ ابن تيمية وأنصاره يكفّرون من تبرّك بالقبور أو بخصوص قبر النبي ﷺ، فهل يلتزم ـ ابن تيمية ـ بلوازم كلامه من تكفير الصحابة والتابعين وأصحاب الصحاح، والفقهاء خلفاً عن سلف!!؟

٦ ـ قبر نور الدين محمود بن زنكي المتوفى ٥٦٩: قال ابن كثير: قبره بدمشق يزار ويحلّق بشبّاكه ويطيّب ويتبرّك به كلُّ مار[1].

٧ ـ اتباع ابن تيمية يتبرّكون بجنازته: لقد تبرّك أتباعه بجنازته وماء غسله ممّا يثير السؤال: هل أن اتباعه كانوا مشركين وأهل بدعة ـ طالما يرى التبرّك شركاً وبدعة ـ إذ تمسّحوا بالجنازة؟! هل شيّعه المشركون ولم يحضر جنازته مسلم!؟ أو أن جواز التبرّك والتمسّح، أمرٌ ارتكازي لدى المسلمين، وأن الفتوى بحرمته، تعدُّ فتوى على خلاف المرتكز وقولاً بغير ما أنزل الله؟

كان تشييعه حافلاً حتى ضاقت الطريق لجنازته وانتهى إليها الناس من كل فجّ عميق واشتد الزحام وألقوا على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرّك، وكسرت أعواد سريره لكثرة تعلّق الناس به وشربوا ماء غُسله للتيمن... واشتروا ما زاد من سدره وقسّموه بينهم. ويقال: إن الخيط الذي كان عليه الزيبق وعلّق على جسده لدفع القمّل، اشتروه بمائة

(١) البداية والنهاية: ١٢/٣٥٣، أنظر الغدير: ٥/٢٠٣، هو السلطان صاحب بلاد الشام، قالوا عنه: كان مجاهداً في الفرنج آمراً بالمعروف، وليست الدنيا عنده بشيء، استرجع من أيدي الكفار نيفاً وخمسين مدينة... البداية والنهاية: ١٢/٣٠٦.

وخمسين درهماً[(١)].

٨ ـ تبرّك الناس بتراب قبر البخاري: كتب السُبكي عن وفاة البخاري ودفنه:

وأما التراب، فإنّهم كانوا يرفعون عن القبر، حتّى ظهر القبر، ولم يكن يُقدَر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشباً مُشّبكاً، لم يكن أحدٌ يقدر على الوصول إلى القبر[(٢)].

٩ ـ التبرك بيحيى بن مجاهد ت٣٦٦: ذكره ابن بشكوال، فقال: «زاهد عصره وناسك مصره، الذي به يتبركون وإلى دعائه يفزعون...»[(٣)].

١٠ ـ التبرك بالبساط: قال السُبكي: لما سكن ـ الوالد ـ في قاعة دار الحديث الأشرفية في سنة ٦٤٢هـ كان يخرج في الليل إلى إيوانها، ليتهجد تجاه الأثر الشريف ويمرّغ وجهه على البساط، وهذا البساط من زمان الأشرف الواقف عليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس...[(٤)].

١١ ـ التبرك بالداوودي: نقل الذهبي عن السمعاني: كان ـ أي الداوودي ـ وجه مشايخ خراسان... يستحق أن يطوى للتبرك به فراسخ...[(٥)].

أقول: وقد حذفوا هذه الكلمة ـ من الأنساب ـ كرامة لابن تيمية

---

(١) انظر البداية والنهاية: ١٣٦/١٤، الكنى والألقاب: ٢٣٧/١.
(٢) طبقات الشافعية: ٢٣٣/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/١٢.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٦.
(٤) طبقات الشافعية: ٣٩٦/٨.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٢٣/١٨، الأنساب: ٤٤٨/٢.

وعبد الوهاب وفتاواهم المباركة!!!

١٢ ـ تبرك الدارقطني بالقواس: عن الدارقطني: كنّا نتبرك بأبي الفتح القواس وهو صبي[(١)].

١٣ ـ التبرك بالأعواد: عن محمد بن يوسف البخاري الحافظ، قال: كنّا في الحج مع يحيى بن معين، فدخلنا المدينة ليلة الجمعة ومات ـ أي يحيى بن معين ـ من ليلته. فلمّا أصبحنا تسامع الناس بقدومه وبموته فاجتمع العامة، وجاءت بنو هاشم، فقالوا يُخرج له الاعواد التي غُسّل عليها رسول الله، فكرِه العامة ذلك، وكثر الكلام، فقالت بنو هاشم: نحن أولى بالنبي ﷺ وهو أهلَ أن يغسل عليها، فغُسّل عليها ودفن يوم الجمعة ٢٣٣هـ.

وقال عباس الدوري: مات فَحُمل على أعواد النبي ﷺ[(٢)].

١٤ ـ التبرك بالآبار: الغزالي: في زيارة النبي ﷺ وآدابها: ويأتي بئر أويس، يقال: إنّ النبي ﷺ تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويقال: إنّ جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه. وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها، وهي سبع آبار طلباً للشفاء وتبركاً به ﷺ[(٣)].

فهل كان أهل سمرقند عام ٢٥٦هـ كفّاراً ومشركين، إذ كانوا يتبرّكون بتراب قبر محمد بن إسماعيل البخاري؟!

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٤٧٥، تاريخ بغداد: ١٤/ ٣٢٧.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١١/ ٩١ ـ ٩٥.
(٣) إحياء العلوم: ١/ ٢٦٠.

وهل جهّزه وكفّنه وشيّعه ودفنه الكفّار؟ وهل هذه النماذج التي أوردناها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين و . . . تنبىء عن انحرافهم!! عن التوحيد إلى غيره.

ما هذه الجرأة في التهجّم على المسلمين؟ أين التقوى والعفّة في الكلام؟ وأين هذه الأفكار والمزاعم من الإسلام والسنّة النبوية.

دعنا نكتفي بهذا المقدار من النصوص التاريخية الدالة على أن التبرّك بقبور المسلمين وآثارهم كان من الأمور الرائجة والمتعارف عليها في المجتمع الإسلامي من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا ولم يفت فقيه بحرمة ذلك، بل صرّحوا بجوازه ورجحانه، واستحبابه.

الفصل الثالث

الاستغاثة وطلب الحوائج

١ ـ رأي الوهابية
٢ ـ مناقشة الفكرة
٣ ـ الاستغاثة بالنبي ﷺ
٤ ـ الاستغاثة بالأنبياء استغاثة بالأحياء
٥ ـ عثمان يأمر بالاستغاثة بقبر النبي ﷺ
٦ ـ الاستغاثة بالقبور
٧ ـ نماذج ممن استغاث بالقبور

الاستغاثة وطلب الحوائج

قال ابن تيمية: إن قول أدركني أو أغثني أو أشفع لي أو انصرني على عدوّي ونحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلاّ الله إذا طلب في أيّام البرزخ كان من أقسام الشرك[1].

وقال في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور:

من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ويسأله حاجته ويستنجده مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو يقضي دينه، أو نحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلاّ الله فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلاّ قُتِل.

وقال: قول كثير من الضّلال: هذا أقرب إلى الله منّي. وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلاّ بهذه الواسطة ونحو ذلك من أقوال المشركين[2].

وقال محمد بن عبد الوهاب: إنَّ دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله موجب للارتداد عن الدين والدخول في عداد المشركين وعبدة الأصنام واستحلال المال والدم إلاّ مع التوبة...[3].

والجواب:

إن الدعاء والاستغاثة بغير الله يكونان على وجوه ثلاثة:

---

(١) الهدية السنية: ٤٠.
(٢) أنظر كشف الارتياب: ٢١٤.
(٣) أنظر كشف الارتياب: ٢١٤.

١ ـ أن يهتف باسمه مجرّداً مثل أن يقول: يا محمد، يا عبد القادر، يا أهل البيت.

٢ ـ أن يقول: يا فلان كن شفيعي، أو ادع الله أن يقضي حاجتي.

٣ ـ أن يقول: اقض ديني، إشفِ مريضي، يا محمد أغنني من فضلك.

ولا مانع في هذه الوجوه، فضلاً عن أنها ليست شركاً بالله، لأن المسلم الموحِّد يعتقد بأن سوى الله لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً بالاستقلالية، وإذا رجا من أحدٍ نفعاً أو كشفاً لضرٍّ فيما منحه الله تعالى من ذلك، وبلا انفكاك عن مشيئة الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن... فهو لا يقصد من التوجّه إلى من ارتضاه الله واجتباه وفضّله على خلقه إلاّ الشفاعة في قضاء الحاجة والدعاء لتيسير وتعجيل وتحقيق قضائها. فلا بد من حمل فعله على الصحيح، وعدم التهجّم على الدماء والأموال والأعراض بغير يقين.

وعليه فلو قال: يا محمد: ادع الله أن يقضي حاجتي، يكون المقصود هو الله تعالى.

وأمّا لو قال: يا محمد اقض حاجتي: فمن باب إسناد الفعل إلى السبب مثل: انبت الربيع البقل.

وفيما يلي تذكرة ببعض الآيات التي ظاهرها صدور الفعل من العبد:

١ ـ ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

٢ ـ ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥.

٣ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[١].

فالإغناء لا يكون إلاّ من الله فكيف جُعِل الرسول ﷺ[٢] شريكاً في الرزق؟ والوهابية جعلت قول: ارزقني شركاً وكفراً.

٤ ـ أضف إلى ذلك أن الله تعالى نسب إلى عيسى الخلق وإبراء الأكمه والأبرص.

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣]. فكيف لا يكون هذا شركاً وكفراً، وتكون نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق إلى النبي، أو الولي بإذن الله شركاً؟!

كلام السمهودي الشافعي:

قد يكون التوسل به ﷺ بطلب ذلك الأمر منه بمعنى أنه ﷺ قادر على التسبيب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة.

ومنه قول القائل له: أسألك مرافقتك في الجنة، ولا يقصد به إلاّ كونه ﷺ سبباً وشافعاً[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٢) عن الصادق عليه السلام: أن أبا حنيفة أكل معه، فلمّا رفع الصادق عليه السلام يده من أكله، قال: الحمد لله ربّ العالمين، اللهم هذا منك ومن رسولك ﷺ فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله! أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له: ويلك، إن الله يقول في كتابه: ﴿وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ [التوبة: ٧٤] ويقول في موضع آخر: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ [التوبة: ٥٩] فقال أبو حنيفة: والله لكأنّي ما قرأتها قط، كنز الفوائد: ١٩٦ ـ عنه الوسائل: ٢٤/٣٥١، والبحار: ٤٧/٢٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٤) وفاء الوفاء: ٢/٤٢١.

أقول: إن المرافقة في الجنّة لا يقدر عليها غير الله، مثل غفران الذنب وشفاء المريض.

نعم لو قصد بهذا الدعاء الاستقلال في التأثير، فهذا ما لم يقصده أحدٌ من المسلمين.

إذن فالاستغاثة والاستعانة ترجع إلى طلب الشفاعة والدعاء. ولا مانع منه عقلاً ونقلاً.

والوهابية قد اعترفت بجواز الدعاء من الحي.

قال ابن تيمية: ثبت عنه ﷺ ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلاّ وكّل الله بها ملكاً كلّما دعا لأخيه دعوة، قال الملك ولك مثل ذلك[١].

ومن المشروع في الدعاء إجابة غائب لغائب، ولهذا أمر ﷺ بالصلاة عليه، وطلب الوسيلة له.

ففي الحديث: إذا سمعتم المؤذّن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلّوا عليَّ فإنّ من صلّى عليَّ مرة صلّى الله عليه عشراً ثم اسألوا الله لي الوسيلة، فإنّها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلاّ لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له شفاعتي يوم القيامة[٢].

كما يشرع طلب الدعاء ممّن هو فوقه ودونه، فقد ثبت في الصحيح: أنّه ﷺ ذكر أويس القرني وقال لعمر: إن استطعت أن يستغفر لك فافعل[٣].

---

(١) رسالة زيارة القبور: ١٥٥.
(٢) كشف الارتياب: ٢٢٣.
(٣) كشف الارتياب: ٢/ ٤٢١.

وفي الحديث: إن الناس لما أجدبوا سألوا النبي ﷺ أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فَسُقوا[١].

إذن: عرفنا أن الاستغاثة هي طلب الدعاء من المستغاث به ولا مانع منه سواء أكان دونه أو مساوياً له.

الاستغاثة بالميّت:

أما طلب الدعاء من الميّت، فلم يجوّزه الوهابيون واستدلّوا على ذلك بالآية الكريمة: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٢].

والجواب عن ذلك: إن للدعاء معنًى لغوياً ومعنى اصطلاحياً.

أمّا اللغوي:

١ ـ الدعاء في اللغة: هو النداء: مثل قوله تعالى:

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٣].

٢ ـ ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه.

وهذا الاطلاق إمّا لأنه أحدُ أفراد المعنى اللغوي، أو لصيرورته حقيقة عرفية في ذلك، أو مجازاً مشهوراً. والدعاء بهذا المعنى يسمّى عبادة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤].

ثم أن مطلق الدعاء، ونداء الغير وطلب الحاجة من غير الله لا

(١) مسند أحمد: ٣/ ٢٤٥ و٢٦١ و٣٨١.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.
(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

يكون عبادة ولا ممنوعاً، فمن دعا رجلاً ليأتي إليه، أو ليعينه وينصره، أو ليناوله شيئاً، أو يقضي له حاجة لم يكن عابداً له ولا آثماً.

المعنى الاصطلاحي:

١ ـ قد يراد به الدعاء الخاص وهو الدعاء المساوي لدعاء الله باعتقاد أنّ المدعو قادرٌ مختار مستقل عن الله في ذلك، كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك في بِيَعها وكنائسها.

٢ ـ وقد يراد به دعاء من نهى الله عن دعائه من الأصنام والأوثان التي هي أحجار وأشجار، كما في دعاء المشركين.

٣ ـ وقد يراد دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أن لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم.

وعلى هذا المعنى يدل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[١] و﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٣].

والحاصل: إن دعا نبيّاً واستغاث به فذلك لا يدخل في الدعاء المنهي عنه. وذلك لأن هذا الدعاء ليس معناه هذه الصور الثلاث ـ الأخيرة ـ بل معناه: الطلب من النبي أن يدعو الله أو يشفع له عنده، مع اعتقاد أنّ الأمر لله إن شاء قَبله، وإن شاء ردّه.

ولا يكون هذا من الدعاء المنهي عنه بعدما عرفت بأنه ليس كل

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٧.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

دعاء منهياً عنه، بل دعاء الغير باعتقاد استقلالية المخلوق في التأثير هو المنهي عنه.

الاستغاثة بالأنبياء استغاثة بالأحياء:

قد يقال: إن التوسل بالأنبياء والصالحين لا معنى له، لأنهم أموات، والميّت لا يسمع فلا معنى لأن يقال: يا رسول الله أغثني، أو أتوجّه بك إلى الله ليقضي لي حاجتي.

والجواب: لقد تعرّضنا في بحث الشفاعة لهذه المسألة بالتفصيل وأثبتنا حياة الأنبياء ـ بعد الموت ـ فنعيد هنا باختصار أنه: لا مانع شرعاً ولا عقلاً من أن يسمع النبي أو الولي كلام من يتوسل به وهو في القبر، أمّا النبي ﷺ فلأنه حيّ أحياه الله بعد موته كما ثبت من حديث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون[١].

ولأنه ثبت حديث: ما من رجل مسلم يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلاّ عرفه وردّ عليه السلام[٢].

وقال البيهقي: وفي حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، أنه ﷺ لقيهم ببيت المقدس فحضرت الصلاة فأمّهم نبيّنا ﷺ ثم اجتمعوا في بيت المقدس.

وفي حديث أبي ذر ومالك بن صعصعة في قصة الإسراء أنه لقيهم

---

(١) صححه البيهقي في جزء حياة الأنبياء وأورده الحافظ ابن حجر على أنه ثابت في فتح الباري، وذلك لما التزمه أنّ ما يذكره من الأحاديث شرحاً أو تتمّة لحديثٍ في متن البخاري فهو صحيح أو حسن. انظر المقالات السنية: ١١٤.

(٢) رواه المناوي في شرح الجامع الصغير، عن ابن عساكر، وأفاد الحافظ العراقي بأن ابن عبد البر خرّجه في التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عبّاس وقد صحّحه أيضاً عبد الحق. انظر المقالات السنية: ١١٤.

بالسماوات. وطرق ذلك صحيحة، فيحمل على أنه رأى موسى قائماً يصلّي في قبره، ثم عرج به هو ومن ذكر من الأنبياء إلى السماوات فلقيهم النبي ﷺ ثم اجتمعوا في بيت المقدس فحضرت الصلاة فأمّهم نبينا. قال: وصلاتهم في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة لا يردها العقل، وقد ثبت به النقل فدلّ ذلك على حياتهم[١].

إذن: ثبت أنّهم أحياء ويسمعون من يسلّم عليهم: «من صلّى عليّ عندَ قبري سمعتهُ» ومعروضة عليهم صلاة من يصلّي عليهم: «اكثروا علي من الصلاة في يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ». ولا مانع[٢] من الاستغاثة بالحي وطلب الاستغفار منه... ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾[٣] ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾[٤].

١ ـ قال القسطلاني: ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه... ثم أن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ـ كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام ـ واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث...[٥].

٢ ـ قال المراغي ـ ت٨١٦هـ ـ: إنّ التوسّل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ واقع في كل حال قبل خلقه وفي مدة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ، وبعد البعث وعرصات القيامة[٦].

---

(١) أنظر المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية: ١١٤.

(٢) عن عبادة بن صامت: قال أبو بكر قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال رسول الله(ص): لا يقام لي إنّما يقام لله تبارك وتعالى. (مسند أحمد: ٥/٣١٧).

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٣.

(٥) المواهب اللدنية: ٣/٤١٧.

(٦) كتاب: تحقيق النضرة بتلخيص معالم دار الهجرة: ١١٣.

استغاثة الضرير بقبر النبي ﷺ بأمر من عثمان بن حنيف:

وممّا يدل بوضوح على أن مسألة الاستغاثة بقبر النبي ﷺ كان أمراً دارجاً بين المسلمين بمن فيهم الصحابة قصة عثمان بن حُنيف، التي أوردها الطبراني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد نبي الرحمة، يا محمّد إني أتوجّه بك إلى ربّي فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك ورُح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفّان، فجاء البوّاب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له. ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال: ما كانت لك من حاجة، فاذكرها، ثم أن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمتَهُ فيّ. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمتُه ولكن شهدتُ رسول الله ﷺ وأتاه ضرير[1]، فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: «فتصبر» فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال النبي ﷺ ائتِ الميضاة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم ادعُ بهذه الدعوات قال ابن حنيف: فوالله ما تفرّقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط[2].

---

(1) إشارة إلى ما أورده أحمد: ١٣٨/٤ بسند صحيح. وهو حديث الأعمى الذي رد بصره بالدعاء الذي علّمه إيّاه. وأخرجه الترمذي: ٥/٥٦٩ ح٣٥٧٨ وابن ماجه: ١/٤٤١، والحاكم: ١/٣١٣.

(2) معجم الطبراني: ٩/٣٠ الرقم ٨٣١١، المعجم الصغير: ١/١٨٣، وقال: الحديث صحيح.

السلفي يعلّق:

إن المعلق السلفي بعد أن يعترف بصحّة هذا الحديث بقوله: «لا شك في صحّة الحديث المرفوع» يشكك في الاستدلال بها على التوسل، فالمعلّق متأثر بأفكار الألباني صاحب رسالة «التوسل» وأفكار الوهابية ومزاعمهم من حرمة التوسل بالميت وأنه شرك. فإذا واجه هكذا روايات وأحاديث، فإنّه لا يطيق تحمّلها ويصعب عليه قبولها، وإن صرّح أهل الفن كالطبراني بصحّة الحديث وإن كان الآمر بالتوسل صحابي جليل، اعتمد عليه عليّ عليه السلام وعمر[1]. وروى له الترمذي والنسائي وابن ماجه.

والعجيب من دعواهم وانتحالهم صفة «السلفية» ومع ذلك يتركون ما ثبت وصحّ عن السلف ـ كعثمان بن حنيف؟!!

وهل من المعقول أن يتبنّى الإنسان عقيدة ثم يفتّش عن أحاديث تؤيّد وتثبت هذه العقيدة؟! أم العكس هو الصحيح، أي لا بد وأن نستخلص العقيدة ـ سواء في مسألة التوسل أو أمر آخر ـ من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة من طريق السلف!.

الاستغاثة بالقبور:

جرت سيرة المسلمين قديماً وحديثاً على الاستغاثة بقبور الأنبياء والصالحين وأفتى العلماء بجواز ذلك وفيما يلي نماذج منها:

١ ـ الاستغاثة بقبر النبي صلى الله عليه وآله:

ـ عن الدارمي: ... قحط أهلُ المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٢٠.

عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نَبَتَ العشب وسَمَنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فَسُمّي عام الفتق[١].

ـ روى ابن أبي شيبة، بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأُمّتك فإنّهم قد هلكوا، فأتى الرجل من المنام فقيل له: ائتِ عمر . . . الحديث وقد روى سيف في الفتوح: إن الذي رأى في المنام المذكور هو (بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة)[٢].

٢ ـ مشهد الإمام الحسين عليه السلام بالقاهرة:

قال الحمزاوي العدوي المتوفى ١٣٠٣ بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين: واعلم أنه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسّلاً به إلى الله ويطلب من هذا الإمام ما كان يطلب منه في حياته، فإنّه باب تفريج الكروب فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب ويصل إلى الله بأنواره والتوسل به كلُ قلب محجوب. ومن ذلك ما وقع لسيدي العارف بالله تعالى محمد شلبي شارح «العزية» الشهير بابن الست، وهو أنه قد سرقت كتبُه جميعها من بيته قال: فتحيّر عقله واشتد كربه، فأتى إلى مقام وليّ نعمتنا الحسين عليه السلام منشداً لأبيات استغاث بها فتوجّه إلى بيته بعد الزيارة ومكث في المقام مدّة، فوجد كتبه في محلّها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها[٣].

---

(١) سنن الدارمي: ١/ ٥٦، سبل الهدى والرشاد: ١٢/ ٣٤٧. وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٧٤.
(٢) فتح الباري: ٢/ ٥٧٧، وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٧٢.
(٣) مشارق الأنوار للحمزاوي: ١/ ١٩٧، أنظر الغدير: ٥/ ١٩١.

٣ ـ استغاثة الضرير بالمشهد الشريف:

عقد الشبراوي الشافعي ـ المتوفى ١١٧٢هـ ـ في كتابه الاتحاف بحب الأشراف باباً في ذلك المشهد الشريف ـ رأس الحسين عليه السلام ـ وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له، منها: إن رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلّم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف، ويقول: يا سيدي أنا جارك قد كفّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم، فقيل له: هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة معه جاؤوا لزيارة الحسين عليه السلام، فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جدّه صلى الله عليه وآله وسلم وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام: «يا علي كحّله. فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدّم حتى أُكحلك فتقدم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى، فأحسّ بحرقانٍ عظيم، فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات[1].

٤ ـ ابن حبان يستشفع بقبر الرضا عليه السلام:

قال ابن حبان: مات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إيّاها المأمون فمات من ساعته... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار... قد زرتُهُ مراراً كثيراً، وما حلّتْ بي شدّة في وقت مقامي بطوس

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ٧٥ ـ ١١٠، الغدير: ١٨٧/٥.

فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله ازالتها عنّي إلاّ استجيب لي وزالت عنّي تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبتهُ مراراً فوجدتُه كذلك، أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين[١].

التعريف بابن حبان:

قالوا فيه: إنه الإمام العلاّمة، الحافظ المجوّد شيخ خراسان، صاحب الكتب المشهورة ولد سنة بضع وسبعين ومئتين. وكان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار... صنّف المسند الصحيح يعني به: كتاب الأنواع والتقاسيم وكتاب التاريخ وكتاب الضعفاء، وفقّه الناس بمسرقند.

وثّقه أبو بكر الخطيب وقال: كان ثقة نبيلاً فهماً.

كما مدحه الحاكم النيسابوري بقوله: كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال... أقام عندنا بنيسابور... وقُرىء عليه جملة من مصنّفاته...[٢].

هل يمكن لابن تيمية وأتباعه رميه بالشرك والكفر والجاهلية!! لأنه كان يزور الرضا عليه السلام مراراً ويستغيث به؟!

٥ ـ ابن خزيمة يتضرّع عند قبر الإمام الرضا عليه السلام:

قال محمد بن مؤمل[٣]: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن

---

(١) كتاب الثقات: ٦/ ٤٠٢، الأنساب للسمعاني: ١/ ٥١٧.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٢، انظر ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٠٦، النجوم الزاهرة: ٣/ ٣٤٢، طبقات السُبكي: ٣/ ١٣١، الأنساب: ٢/ ٢٠٩، الوافي بالوفيات: ٢/ ٣١٧.
(٣) هو أبو بكر الماسرجسي المتوفى عام ٣٥٠هـ الإمام رئيس نيسابور أحد البلغاء والفصحاء، وقد بنى داراً للمحدثين وادرّ عليهم الأرزاق، وروى عنه السُلمي والحاكم وسعيد بن محمد بن محمد بن عبدان، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٣.

خزيمة وعديلة ابن علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيّرنا[١].

التعريف بابن خزيمة:

قال الذهبي: إنّه شيخ الإسلام، إمام الأئمة، الحافظ، الحجة، الفقيه، صاحب التصانيف، ولد عام ثلاثة وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثل في سَعة العلم والاتقان.

وقد حدّث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين[٢].

إن الله ليدفع بالبلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكر ابن خزيمة.

وقال الدارقطني: كان إماماً ثبتاً، معدوم النظير.

وقالوا عنه: إنّه رجلٌ يُحيي سنّة رسول الله ﷺ.

وقالوا عنه: إنه يستخرج النُكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش.

وكان هذا الإمام جِهبذا بصيراً بالرجال، وكان له عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتّباعه السنة[٣].

وقال ابن أبي حاتم فيه: هو إمام يُقتدى به.

(١) تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٣٩.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٣٦٥.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧.

هل يتجرأ ابن تيمية أن يرمي ابن خزيمة بالكفر والشرك لمجرّد استغاثته وتضرّعه بقبر الإمام الرضا عليه السلام؟!

وهل لابن تيمية أن يُبدي الرأي السلبي في أمثال ابن خزيمة؟!

نماذج من الاستغاثة بالقبور:

١ ـ قبر أبي أيوب الأنصاري المتوفى عام ٥٢هـ بالروم:

قال الحاكم: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا[١].

٢ ـ قبر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

عن شيخ الحنابلة ـ أبي علي الخلاّل ـ ما همّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفر فتوسلتُ به إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أُحبُ[٢].

٣ ـ قبر أبي حنيفة:

إن الإمام الشافعي أيّام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة ويجيء إلى ضريحه يزور فيسلّم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.

وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسّل بالإمام الشافعي حتى تعجّب ابنه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال له أبوه: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولمّا بلغ الإمام الشافعي: أن أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم، قال الشافعي: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره كل يوم فإذا عرضت لي حاجة صلّيتُ ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده[٣].

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣/ ٥١٨، الرقم ٥٩٢٩/ ١٥٢٧، صفة الصفوة: ١/ ٤٧٠.

(٢) تاريخ بغداد: ١/ ١٢٠.

(٣) خلاصة الكلام: ٢٥٢ للسيد زيني دحلان، تاريخ بغداد: ١/ ١٢٣، مناقب أبي حنيفة للخوارزمي: ٢/ ١٩٩، انظر الغدير: ٥/ ١٩٤.

٤ ـ التوسل بقبر أحمد بن حنبل:

حكى ابن الجوزي في مناقب أحمد، عن عبد الله بن موسى قال: خرجتُ أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة فقال أبي: يا بني تعال نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضيء لنا الطريق، فإني منذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلاّ قُضيت حاجتي، فدعا أبي وأمّنتُ على دعائه، فأضاءت السماء كأنّها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه[١].

٥ ـ قبر ابن فورك الأصبهاني المتوفى ٤٠٦هـ:

دفن بالحيرة من نيسابور، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده[٢].

أقول: هو محمد بن الحسن، شيخ المتكلمين، وكان اشعرياً، ولكن نسب الذهبي وابن حزم إليه ما لا يصدر من مسلم، ولو صدر كان في حدّ الارتداد[٣].

٦ ـ قبر الشيخ أحمد بن علوان: ت٧٥٠هـ:

قال اليافعي: ومن كراماته أن ذرية الفقهاء الذين كانوا ينكرون عليه صاروا يلوذون عند النوائب بقبره ويستجيرون من خوف السلطان[٤].

٧ ـ الاستسقاء بقبر البخاري:

١ ـ ومن جميل ما يذكره العلماء: أن سمرقند استسقت واستغاثت

(١) مناقب أحمد: ٢٩٧، لابن الجوزي.
(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٢٧٢، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٦.
(٣) انظر سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٥، وطبقات الشافعية: ٤/ ١٣٠.
(٤) مرآة الجنان: ٤/ ٣٥٧.

بقبر البخاري عام ٤٦٤هـ يعني قبل ولادة ابن تيمية صاحب المزاعم بثلاثمائة سنة فعن السُبكي: «قُحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مراراً فلم يُسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سَمرقند، فقال له: إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج، ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا، فقال القاضي: نِعمَ ما رأيت. فخرج القاضي، والناس معه واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير، فقام الناس من أجله بخرتنك[١] سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند، من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخَرتَنك نحو ثلاثة أميال[٢].

لعل ابن تيمية لم يطّلع على هذه الاستغاثة والاستشفاع، وإلا لرماهم بالكفر والشرك. أو أن هذه القضية غير ثابتة عنده!!.

٨ ـ إستغاثة حمزة بن القاسم (ت٣٣٠هـ):

قال الخطيب: كان ثقة مشهوراً بالصلاح، استسقى للناس فقال: اللهم إنّ عمر استسقى بشيبة العباس فسقي، وهو أبي، وأنا استسقي به. قال: فجاء المطر وهو على المنبر[٣].

كلام الإمام القيرواني المالكي المتوفى ٧٣٧هـ في التوسل بالقبور:

قال في فصل زيارة القبور: أما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر، ويتعيّن عليه

(١) من قرى سمرقند. معجم البلدان: ٢/ ٣٥٦.
(٢) طبقات الشافعية: ٢/ ٢٣٤، سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٤٦٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٧٥، تاريخ بغداد ٨/ ١٨٢.

قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطراب والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيّرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلّي عليهم... ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنّه في ذلك. فإنّهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم. ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه فإنّهم السادة الكرام والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم.

وأمّا في زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني من الانكسار والذل والمسكنة، لأنّه الشافع المشفع الذي لا تردُّ شفاعتهُ، ولا يخيّب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به... فمن توسل به، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، فلا يُردُّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار... فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا...[1].

والحاصل أن هذه النصوص والشواهد التاريخية تدل على أن الاستغاثة بالميت والدعاء عند قبره والتوسل به كان أمراً شائعاً بين المسلمين على صعيد الخواص والعوام فهذا الإمام الشافعي يتوسل بأبي حنيفة في قضاء حاجاته. وذاك شيخ الحنابلة ما أهمّه أمر إلاّ توسّل بقبر

(١) المدخل في رسالة زيارة القبور: ١/ ٢٥٧، الغدير: ٥/ ١١١.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وثالث هو الإمام أحمد يتوسل بالإمام الشافعي في قضاء حوائجه، وهذان ابن خزيمة وابن حبّان يتوسّلان بقبر الإمام الرضا عليه السلام ويستغيثانه في إنجاز الحوائج وهؤلاء أهالي سمرقند يستسقون بقبر البخاري. وهذه عائشة تأمر المسلمين بأن يستغيثوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله للاستسقاء. فهذه شخصيات من الصحابة، وأكابر أهل السنّة من الفقهاء وغيرهم؛ يستغيثون بقبور الأنبياء والصحابة والأولياء والصالحين!! فهل يتجرأ ابن تيمية التقول عليهم بأنّهم مشركون، كفّار!!؟

ولقد أجاد وأفاد الشيخ سلامة العزامي حيث قال:

لقد تعدّى هذا الرجل - ابن تيمية - حتى على الجناب المحمّدي فقال: إنّ شدّ الرحال إلى زيارته معصية، وأنّ من ناداه مستغيثاً به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك فتارة يجعله شركاً أصغر، وأُخرى يجعله شركاً أكبر. وإن كان المستغيث ممتلىء القلب بأنّه لا خالق ولا مؤثّر إلاّ الله، وإنّ النبي صلى الله عليه وآله إنّما ترفع إليه الحوائج ويستغاث به، على أن الله جعله منبع كل خير، مقبول الشفاعة مستجاب الدعاء، كما هي عقيدة جميع المسلمين مهما كانوا من العامة[1].

وقال القسطلاني: وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وآله فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه: واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبّر بلفظ: الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوّه أو التوجه. لأنها من الجاه والوجاهة ومعناه: علو القدر والمنزلة.

(١) فرقان القرآن: ١٣٣، الغدير: ٥/١٥٥.

وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه. ثمّ أنَّ كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ ـ كما ذكره في تحقيق النصرة ـ ومصباح الظلام ـ واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة. . .

أما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء.

وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان، طرق من ذلك.

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمتُ به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٩٣هـ بمكة زادها الله شرفاً. ومنَّ عليَّ بالعود في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي ـ والله ـ شيئاً مما كنتُ أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ[١].

ومن العجيب أن الوهابية لم يرموا أحمد القسطلاني ـ رغم هذه التصريحات منه ـ بالشرك والارتداد رغم أنهم رموا كل من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ويسأله حاجته ويستنجده في أن يزيل مرضه. . . بالشرك والارتداد ووجوب الاستتابة، فإن تاب وإلاّ قتل!

ومن هذا الكلام الغسل الفارغ. . .

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.

من قصص الاستغاثة:

تعرّض السمهودي في خاتمة كتابه لنبذةٍ ممّا وقع لمن استغاث بقبر النبي ﷺ أو طلب منه شيئاً عند قبره. فأُعطي مطلوبه ونال مرغوبه، وقد نقلها من كتاب «مصباح الظلام[١] في المستغيثين بخير الأنام» للإمام الحافظ سليمان بن موسى بن سالم البلنسي[٢] المتوفى عام ٦٣٤هـ[٣].

(١) لقد فات المعلّق على «سير أعلام النبلاء» التعليق على هذا الكتاب الذي يبحث في موضوع الاستشفاع والاستغاثة بقبر النبي ﷺ، كما هو دأبه في التعليق على كل ما يرد هنا ولا يلائم مزاعم الوهابية ومعتقداتهم، كما في تعليقاته في ترجمة الكرخي والسيّدة نفيسة وأبي عوانة و. . .
ولعلّ حضرة المعلّق لم يطّلع على محتوى الكتاب ولم يعرف مضمونه، وإلاّ لما سلم الكتاب ولا الكاتب من سطوات هذا المعلّق المتقي الزاهد! فالحمد لله على ذلك.
ولذا تراه يمدح المؤلف وموقفه الجهادي إلى أن نال الشهادة. ويقول في حقّه: هكذا علماء الأئمّة والمحدّثون خاصة، أوّل المدافعين عن بلاد الإسلام وحفظ بيضته. سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٣٤.

(٢) وإن كان السمهودي قد ذكر اسم مؤلّف هذا الكتاب هكذا (محمد بن موسى بن نعمان البلنسي) ولعله كتابان بهذا الاسم لمؤلفين. ولقد أثبت الحلبي هذا الكتاب لسليمان بن موسى بن سالم البلنسي ولمحمد بن موسى التلمساني انظر كشف الظنون: ٢/ ١٧٠٦.

(٣) قال ابن عماد: «أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم البلنسي الحافظ الكبير الثقة صاحب التصانيف وبقية أعلام الأثر بالأندلس. ولد سنة خمس وستين وخمسمائة وسمع ابن زرقون.
قال الأبار: كان بصيراً بالحديث عاقلاً عارفاً بالجرح والتعديل ذاكراً للموالد والوفيات، يتقدّم أهل زمانه في ذلك خصوصاً من تأخر زمانه ولا نظير لخطّه في الإتقان والضبط. . . شذرات الذهب: ٥/ ١٦٤.
وقال الذهبي: «الإمام العلاّمة الحافظ المُجود الأديب البليغ شيخ الحديث والبلاغة بالأندلس أبو الربيع سليمان بن موسى البلنسي. . . وكان من كبار أئمّة الحديث».
ونقل عن أبي عبد الله بن الآبار في تاريخه: إنّه كان إماماً في صناعة الحديث. . . وله تصانيف مفيدة في فنون عديدة.
منها: كتاب مصباح الظلم. . . انتفعتُ به في الحديث كل الانتفاع، وأخذت عنه كثيراً. ونقل عن الحافظ ابن مُسدي: لم ألق مثله جلالة ونُبْلاً ورياسة وفضلاً، كان إماماً مبرّزاً في فنون من منقول ومعقول ومنثور وموزون جامعاً للفضائل برع في علوم القرآن والتجويد. . . وهو ختام الحفاظ. . .
وعن ابن الآبار، كان يحدّثنا أن السبعين منتهى عمره لرؤيا رآها وهو آخر الحفّاظ والبلغاء بالأندلس. (سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٣٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٩٨).

١ ـ قصّة والد ابن المنكدر:

اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأُمّة من أئمّة المحدِّثين والصوفية والعلماء بالله المحقّقين. قال محمد بن المنكدر: أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد، وقال لأبي: إن احتجت أنفقها إلى أن أعود.

وأصاب الناس جهدٌ من الغلاء، فأنفق أبي الدنانير، فقدم الرجل وطلب ماله، فقال له أبي: عُد إليَّ غداً، وبات في المسجد يلوذ بقبر النبيّ ﷺ مرّة وبمنبره مرّة، حتّى كاد أن يصبح، يستغيث بقبر النبيّ ﷺ فبينما هو كذلك وإذا بشخص في الظلام يقول: دونكها يا أبا محمد، فمدَّ أبي يده فإذا هو بصُرّةٍ فيها ثمانون ديناراً، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه[١].

٢ ـ النبي ﷺ يأمر بالطعام إلى الطبراني:

قال الإمام أبو بكر بن المقري[٢]: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ وكنّا على حالته، وأثّر فينا الجوع، وواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرتُ قبر النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله الجوع، وانصرفتُ، فقال لي أبو القاسم: اجلس فأما أن يكون الرزق أو الموت، قال أبو بكر: فقمتُ أنا وأبو الشيخ؛ والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر بالباب عَلَوي، فدقّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قال

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٠.

(٢) قالوا فيه: إنه فاق سار نظائره مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكه، توفي سنة ٣٢٤هـ، سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٧٣، طبقات الشافعية: ٣/ ٥٨.

العلوي: يا قوم أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم[(١)].

٣ ـ النصف الآخر من الرغيف في اليد:

وقال ابن الجلاد: دخلتُ مدينة النبيّ ﷺ وبي فاقة، فتقدّمت القبر وقلت: ضيفك، فغفوتُ فرأيت النبيّ ﷺ فأعطاني رغيفاً، فأكلتُ نصفه، وانتبهت وبيدي النصف الآخر[(٢)].

٤ ـ الدراهم المباركة:

قال أبو عبد الله محمد بن أبي زرعة الصوفي: سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن حنيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة الرسول ﷺ، وبتنا طاوِين، وكنتُ دون البلوغ، فكنتُ أجيىء إلى أبي غير دفعة وأقول: أنا جائع، فأتى أبي الحظيرة وقال: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة، وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه فقال: رأيت رسول الله ﷺ فوضع في يدي دراهم، وفتح يده، فإذا فيها دراهم، وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنا ننفق منها[(٣)].

٥ ـ شربة رويّة من قدح لبن:

وسمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبي الأمان يقول: كنت بمدينة النبيّ ﷺ خلف محراب فاطمة عليها السلام وكان الشريف مكثر القاسمي قائماً خلف المحراب المذكور، فانتبه فجاء إلى النبي ﷺ

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٠.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٠.
(٣) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨١.

وعاد علينا متبسّماً، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوي: فيمَ تبسمت؟ فقال: كانت بي فاقة، فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة عليها السلام فاستغثت بالنبي ﷺ وقلت: إني جائع، فنمتُ فرأيت النبي ﷺ فأعطاني قدح لبن فشربت حتى رويت...[١].

٦ ـ ثلاثة أمداد من التمر الطيّب:

عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد: كنت بمدينة النبيّ ﷺ ومعي ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة، فجئت إلى النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله ليس لنا شيء، ويكفينا ثلاثة أمداد من التمر الطيّب[٢].

٧ ـ الثريد أمنية جائع على رسول الله ﷺ:

وسمعتُ الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي يقول: أقمتُ بمدينة النبي ﷺ ثلاثة أيام لم أستطعم فيها، فأتيتُ عند منبره ﷺ فركعت ركعتين وقلت: يا جدّي جعت وأتمنى عليك ثردة، ثم غلبتني عيني فنمت، فبينما أنا نائم وإذا برجل يوقظني، فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه، فقال لي: كُلْ، فقلت له: من أين هذا: إنّ صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنّون هذا الطعام، فلما كان اليوم، فتح الله لي بشيء عملت به هذا، ثم نمت فرأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول: إن أحد إخوانك تمنّى عليّ هذا الطعام فأطعمه منه[٣].

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٣.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٣.
(٣) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٣.

٨ ـ أمنية أخرى لجائع آخر:

سمعت عبد الله بن الحسن الدمياطي يقول: حكى لي الشيخ الصالح عبد القادر التنيسي بثغر دمياط قال: . . . دخلت مدينة النبيّ ﷺ وسلّمت على النبي ﷺ وشكوت له ضرري من الجوع، واشتهيت عليه الطعام من البر واللحم والتمر، وتقدّمت بعد الزيارة للروضة فصلّيت فيها، وبتّ فيها، فإذا شخص يوقظني من النوم، فانتبهتُ ومضيتُ معه، وكان شاباً جميلاً خَلْقاً وخُلقاً، فقدَّم إليَّ جفنة ثريد وعليها شاة وأطباق من أنواع التمر صيحاني وغيره وخبزاً كثيراً من جملته خبز أقراص سويق النبق، فأكلتُ فملأ لي جرابي لحماً وخبزاً وتمراً، وقال: كنت نائماً بعد صلاة الضحى فرأيت النبي ﷺ في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا، ودلّني عليك، وعرّفني مكانك بالروضة، وقال لي: إنك اشتهيت هذا وأردته[1].

٩ ـ أضاف المؤلّف ـ صاحب كتاب مصباح الظلام ـ بعد نقل هذه القصص من التوسّلات والاستغاثات بالنبيّ الكريم ﷺ: «إنّه قد وقع في كثير ممّا ذكر وأمثاله أن الذي يأمره ﷺ في ذلك إنّما يكون من الذريّة الشريفة، لا سيما إذا كان المتناوَل طعاماً، لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القِرَى البداءة بأنفسهم ثم بمن يكون منهم، فاقتضى خُلُقه الكريم أن إعطاء سائل القِرى يكون منه ومن ذرّيته الكريمة[2].

ثم بعد هذه المجموعة من القصص من شخصيات كالطبراني وابن المقرىء وابن المنكدر وغيرهم هل يبقى مجال لابن تيمية أن يدعي أن التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ شرك؟!

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٣.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٥.

وهل مؤلّف كتاب مصباح الظلام مشرك، وهل جمع في كتابه هذا: الكفريات والشرك!

وهل يتجرأ ابن تيمية ومن تبعه أن يرمي المؤلّف البلنسي بالشرك، وهو الحافظ الكبير الثقة ـ كما قاله ابن عماد والبصير بالحديث والمتقدّم على أهل زمانه كما قاله الأبار، والإمام المبرز في فنون المعقول والمنقول كما قاله ابن مسدي. والإمام العلاّمة الحافظ شيخ الحديث كما قاله الذهبي. فهل يُصغى إلى مزاعم ابن تيمية بعد هذا؟

السمهودي يروي قصّة عن نفسه:

إنّ السمهودي بعد أن أورد قصصاً عن توسل المحدّثين والفقهاء بقبر النبي ﷺ ـ نقلاً عن كتاب مصباح الظلام ـ قال: «والحكايات في هذا الباب كثيرة، بل وقع لي شيء منها: إني كنت بالمسجد النبوي عند قدوم الحاج المصري للزيارة، وفي يدي مفتاح الخلوة التي فيها كتبي بالمسجد، فمرّ بي بعض علماء المصريين ممّن كان يقرأ على بعض مشايخي، فسلّمت عليه، فسألني أن أمشي معه إلى الروضة الشريفة، وأقف معه بين يدي النبي ﷺ ففعلت، ثم رجعت فلم أجد المفتاح وتطلّبتُهُ في الأماكن التي مشيت إليها فلم أجده، وشقّ عليّ ذهابه في ذلك الوقت الضيّق مع حاجتي إليه، فجئت إلى النبي ﷺ وقلت: يا سيدي يا رسول الله ذهب مفتاح الخلوة، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك، ثم رجعت فرأيت شخصاً قاصداً الخلوة، فظننتهُ بعض من أعرفه، فمشيت إليه، فلم أجده إيّاه، ووجدت صغيراً لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح، فقلت له: من أين لك هذا؟ فقال: وجدتُهُ عند الوجه الشريف، فأخذتُه منه وغير ذلك مما يطول ذكره»[1].

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٨٥.

طلب محب الدين الطبري:

يقول تقي الدين الفاسي: هذه الحكاية ذكرها جدّي الشريف أبو عبد الله في تعاليقه، لأنه قال: سمعت الإمام محب الدين الطبري يقول: مشينا إلى المدينة زائرين، وكنّا جماعة فنظمتُ قصيدة في مدح النبي ﷺ فلمّا قدمنا المدينة، انشدتُ القصيدة، فلما فرغتُ من انشادها، قلتُ: يا رسول الله ﷺ: إنَّ من جائزتي أن يذهبَ عنيّ هذا اللقب، وكان لقبي بين الناس: محيي الدين، وكنتُ اكره هذا اللقب، قال: فلقبتُ بعد ذلك محبُّ الدين وذهب عنيّ لقب محيي الدين، حتّى كأنه لم يكن»[1].

وقد عرّفوا محبَّ الدين: بأنه المحدّث المفتي فيه الحرم...[2].

---

(١) العقد الثمين: ٣/ ٦٨.
(٢) تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٧٤.

الفصل الرابع

زيارة القبور

١ ـ رأي ابن تيمية في زيارة قبر النبي ﷺ
٢ ـ مناقشة المدعى
٣ ـ الأحاديث والزيارة
٤ ـ سيرة الصحابة في الزيارة
٥ ـ حديث شد الرحال
٦ ـ موقف السنّة من مزاعم ابن تيمية
٧ ـ زيارة القبور والمشاهد
٨ ـ أحاديث في زيارة المشاهد
٩ ـ سيرة الصحابة والتابعين
١٠ ـ القبور المقصودة بالزيارة
١١ ـ رأي فقهاء السنّة في زيارة القبور
١٢ ـ زيارة النبيّ ﷺ قبر أُمّه
١٣ ـ الشيء يذكر بالشيء

زيارة القبور

١ ـ زيارة قبر النبي ﷺ:

منع ابن تيمية من زيارة قبر النبي ﷺ وحرمها مطلقاً مع شدّ الرحال أو بدونه، فضلاً عن زيارة قبر غيره، حكى ذلك عنه القسطلاني[١] وابن حجر في الجوهر المنظم[٢].

وقال: بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً وإنّه لا تقصر فيه الصلاة.

مناقشة المدعى:

إن الزيارة أمرٌ مشروع بالأدلّة الأربعة:

أمّا الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾[٣].

فإنّ الزيارة هي الحضور الذي هو عبار عن المجيء إليه سواء أكان لطلب الاستغفار أو بدونه.

وإذا ثبت رجحان ذلك في حياته، ثبت بعد مماته، أيضاً لما دلّ على حياته البرزخية وسماعه وردّه السلام على من يسلّم عليه وعرض الأعمال عليه.

---

(١) إرشاد الساري: ٢/ ٣٢٩.
(٢) كشف الارتياب: ٤٥٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.

١ ـ فعن القسطلاني: ليس من يوم إلاّ ويعرض على النبي ﷺ أعمال أُمّته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فكذلك يشهد عليهم[١].

وروى ابن زرعة العراقي: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خيرٌ لكم تعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه وما رأيت من شرّ استغفرت الله لكم»[٢].

٢ ـ قال السبكي ـ فيما حكاه عنه السمهودي: والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبّوا لمن أتى القبر أن يتلوها[٣].

٣ ـ وحكاية الأعرابي أيضاً تدلّ على الحياة البرزخية لرسول الله ﷺ وهذه الحكاية أوردها المصنّفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزائر وهي: كما عن ابن عساكر عن محمد بن حرب[٤] قال: دخلت المدينة فأتيتُ قبر النبي ﷺ فزرتُهُ وجلست بحذائه فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرُسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمتُ وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر: قد غفر لك.

وقد نقلها السمهودي بطريقين عن علي بن أبي طالب عليه السلام[٥].

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ٣/ ٤١٠.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب: ٢٩٧.

(٣) كشف الارتياب ٢٥٦، ٣٤٠.

(٤) هو الحافظ الفقيه الخولاني المتوفى عام ١٩٤هـ، روى له الصحاح ووثقه ابن معين والطائي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٥٨.

(٥) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٢٦ أنظر مصادره: الروض الفائق: ٢/ ٣٨٠، كشف الارتياب: ٢٥٨، المواهب اللدنية: ٣/ ٤٠٥، مغني المحتاج: ١/ ٥١٢، كنوز الحقائق: ٢/ ١٠٨، نيل الأوطار: ٥/ ١٠٨، وقد استدل المراغي بهذه الآية على مشروعية زيارته ﷺ وأنها قربة.

وأمّا السّنة:

فقد وردت أحاديث كثيرة وبطرق عديدة على اختلاف مضامينها وفيما يلي نماذج منها:

الحديث الأوّل: عن النبي ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[(١)]، ولهذا الحديث أربعون مصدراً من كتب السنّة ومؤلفوها من الحفّاظ وأئمّة الحديث منهم:

١ ـ عبيد بن محمد الورّاق النيسابوري، ت٢٥٥هـ.

٢ ـ ابن أبي الدنيا أبو بكر القرشي، ت٢٨١هـ.

٣ ـ الدولابي الرازي في الكنى والأسماء، ت٣١٠هـ.

٤ ـ ابن خزيمة في صحيحه، ت٣١١هـ.

٥ ـ أبو جعفر العقيلي في كتابه، ت٣٢٢هـ.

٦ ـ أبو أحمد بن عدي في الكامل، ت٣٦٠هـ.

٧ ـ الدارقطني في السنن، ت٣٨٥هـ.

٨ ـ الماوردي في الأحكام السلطانية، ت٤٥٠هـ.

٩ ـ القاضي عياض المالك في الشفات، ٥٤٤هـ.

١٠ ـ ابن عساكر في تاريخه: باب من زار قبره[(٢)]، ت٥٧١هـ.

---

(١) الغدير: ٥/ ٩٣، سنن الدارقطني: ٢/ ٢٧٨، الأحكام السلطانية: ٢/ ١٠٩، السنن الكبرى: ٥/ ٢٤٥، الكامل في الضعفاء: ٦/ ٣٥١، الضعفاء الكبير: ٤/ ١٧٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٥/ ١٩٤، مختصر تاريخ دمشق: ٢/ ٤٠٦، الترغيب والترهيب: ٢/ ٢٢٤، شفاء السقام: ٢، كنز العمال: ١٥/ ٦٥١، نيل الأوطار: ٥/ ١٠٨.

(٢) وقد أسقطه ابن بدران من تهذيبه.

١١ ـ السُبكي الشافعي في شفاء السقام، ت٧٥٦هـ[١].

قال العلاّمة اللكنوي: «وقد زلّ قدمُ من احتج على ضعف حديث من زار قبري وجبت له شفاعتي. . . وإن شئت زيادة التفصيل في هذا البحث الجليل فارجع إلى رسائلي في بحث زيارة القبر النبوي، **إحداها**: الكلام المبرم في نقض القول المحقق المحكم، **ثانيتها**: الكلام المبرور في ردّ القول المنصور، **وثالثتها**: السعي المشكور في ردّ المذهب المأثور» ألّفتها ردّاً على رسائل من حجّ ولم يزر قبر النبي ﷺ العربي في كل بكرة وعشي»[٢].

أقول: إن رواة هذا الحديث إلى موسى بن هلال كلّهم ثقات لا ريبة فيهم.

وأمّا موسى بن هلال: فقال ابن عدي: ارجو أنه لا بأس به وهو من مشايخ أحمد، وأحمد لم يكن يروي إلاّ عن ثقة[٣]. كما صرّح الخصم بذلك في الرد على البكري[٤].

وقد ذكر السبكي شواهد لقوّة سنده، وقال: وبذلك تبيّن أن أقلّ درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحّته.

إلى أن قال: وبهذا بل بأقل منه يتبيّن افتراء من ادعى: أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة، فسبحان الله أما استحى من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل، لا من أهل الحديث ولا من غيرهم! ولا ذكر أحدٌ موسى بن هلال ولا غيره

(١) انظر الغدير: ٥/ ١٦٧.
(٢) الرفع والتكميل: ٢١١.
(٣) الكامل في الضعفاء: ٦/ ٣٥١.
(٤) انظر الغدير: ٥/ ١٦٩.

من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يطلق على كل الأحاديث التي هذا واحد منها أنها موضوعة[١]؟!

الحديث الثاني: عن ابن عمر مرفوعاً: «من جاءني زائراً لا تعمله - لا تحمله - إلاّ زيارتي كان حقّاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

ولهذا الحديث ستّة عشر مصدراً ونكتفي بذكر بعضها:

١ - الطبراني - ت٣٦٠هـ - في المعجم الكبير.

٢ - الحافظ بن السكن البغدادي - ت٣٥٣هـ - في كتابه: السنن الصحاح.

٣ - الدارقطني في أماليه، ت٣٨٥هـ.

٤ - أبو نعيم الأصبهاني، ت٤٣٠هـ.

٥ - أبو حامد الغزالي الشافعي في إحياء العلوم، ت٥٠٥هـ[٢].

الحديث الثالث: عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»[٣].

ولهذا الحديث خمسة وعشرون مصدراً من كتب السنة، وفيما يلي بعضها:

١ - الشيباني، ت٣٠٣هـ.

---

(١) شفاء السقام: ٨.

(٢) المعجم الكبير: ١٢/ ٢٢٥، إحياء علوم الدين: ١/ ٢٣١، مختصر تاريخ دمشق: ٢/ ٤٠٦، شفاء السقام: ١٦، وفاء الوفاه: ٤/ ١٣٤٠، مغني المحتاج: ١/ ٥١٢، المواهب اللدنية: ٤/ ٥٧١.

(٣) انظر الغدير: ٥/ ٢٤٦، انظر مصادره: المعجم الكبير: ١٢/ ٣١٠، سنن الدارقطني: ٢/ ٢٧٨.

٢ ـ أبو يعلى ـ ت٣٠٧هـ ـ في مسنده.

٣ ـ البغوي، ت٣١٧هـ.

٤ ـ ابن عدي ـ ت٣٦٥هـ ـ في الكامل.

٥ ـ البيهقي ـ ت٤٥٨هـ ـ في السنن[١].

٦ ـ ابن عساكر ـ ت٥٧١هـ ـ في تاريخه.

الحديث الرابع: عن عبد الله بن عمر، مرفوعاً:

«من حجَّ البيت ولم يزرني فقد جفاني».

نقل هذا الحديث كثيرٌ من الحفّاظ[٢]، منهم:

١ ـ السمهودي (ت٩١١هـ) في وفاء الوفاء.

٢ ـ الدارقطني (ت٣٨٥هـ) في كتابه أحاديث مالك التي ليست في الموطأ.

٣ ـ القسطلاني (ت٩٢٣هـ) في المواهب اللدنية.

الحديث الخامس: مرفوعاً، «لا عذر لمن كان له سعة من أُمّتي ولم يزرني»[٣].

---

(١) كنز العمال: ١٥/ ٦٥١، الدرة الثمية: ٣٩٧، مشكاة المصابيح: ٢/ ١٢٨، شفاء السقام: ٢٠ ـ ٢٧، والروض الفائق: ٣٨٠، وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٤٠، نيل الأوطار: ٥/ ١٠٨، مصباح الظلام: ٢/ ٣٥١.

(٢) نيل الأوطار: ٥/ ١٠٨، شفاء السقام: ٢٧، وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٤٢، المواهب اللدنية: ٣/ ٤٠٤، كشف الخفاء: ٢/ ٢٤٤، كتاب المجروحين: ٣/ ٧٣، مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٦٩، الغدير: ٥/ ١٠٠.

(٣) مجتمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: ١/ ١٥٧، وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٤٠.

فعل الصحابة:

١ ـ إن عمر بن الخطاب لمّا قدم المدينة من فتوح الشام، كان أوّل ما بدأ بالمسجد، سلّم على رسول الله ﷺ[١].

٢ ـ إنّ ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ﷺ السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[٢].

٣ ـ إن ابن عمر يقف على قبر النبي، فيصلّي (فيسلّم) على النبي[٣].

٤ ـ عن ابن عون: سأل رجل نافعاً: هل كان ابن عمر يُسلّم على القبر؟ قال: نعم، لقد رأيتهُ مائة مرّة أو أكثر من مائة كان يأتي القبر، فيقوم عنده، فيقول: السلام على النبي ﷺ[٤].

٥ ـ عن أبي حنيفة، عن ابن عمر: من السنّة أن تأتي قبر النبي ﷺ من قِبَل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: . . .

هذا وقد جمع العلاّمة الأميني أكثر من أربعين قولاً لعلماء السنّة وفقهائهم في استحباب زيارة قبر النبيّ ﷺ وآداب زيارته[٥].

وأمّا العقل:

---

(١) شفاء السقام: ٤٤.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٤٠.
(٣) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٤٠.
(٤) المصدر السابق.
(٥) انظر الغدير ٥: ١٠٩.

فإن العقل يحكم بحسن تعظيم من عظّمه الله تعالى: (هذا من حيث الكبرى) والزيارة نوع من التعظيم (وهذا من حيث الصغرى).

والنتيجة أن تعظيمه ﷺ بالزيارة تعظيم لشعائر الله، وارغام لأُنوف أعدائه ومخالفيه.

المناقشة في حديث شدّ الرحال:

حاول ابن تيمية التشنيع على الإمامية بأنّهم: يحجّون إلى المشاهد كما يحج الحاج إلى البيت العتيق كأن زيارة المشاهد خاصة بالإمامية دون سائر المذاهب الإسلامية الأُخرى!

وابن عبد الوهاب يزعم حرمة شدّ الرحال إلى المشاهد المشرّفة وإلى قبر النبي ﷺ، وحرمة السفر بالقصد إلى هذه المشاهد، حيث يقول: «يُسَنّ زيارة النبيّ ﷺ إلا أنّه لا تُشَدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة: المسجد الحرام ومسجدي ومسجد الأقصى»[١].

فهو يرى حرمة السفر بقصد زيارة القبور استناداً إلى هذا الحديث.

مناقشة هذا المدّعى:

أولاً: إن الحصر هنا إضافي لا حقيقي يعني بالنسبة إلى سائر المساجد لا يشد الرحال إلاّ إلى هذه المساجد، وذلك لأن المستثنى منه لم يذكر، أي ـ أنّ الاستثناء مفرّغ ـ فكما يحتمل تقدير «المكان، والموضع» في المستثنى منه، يمكن تقدير «المسجد» فيكون معنى الرواية لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد إلاّ إلى هذه الثلاثة؛ وهذا التقدير هو المتعيّن لأنه المتبادر والظاهر من الحديث عرفاً. وعليه فلا

(١) البخاري: ٢/ ١٣٦، كتاب الصلاة، مسلم: ٤/ ١٢٦ (الحج) إحياء العلوم للغزالي: ٢/ ٢٤٧.

ربط للحديث بحرمة شدّ الرحال إلى المشاهد المشرّفة والمقابر.

قال القسطلاني: الاستثناء مفرغ والتقدير لا تُشَدُّ الرحال إلى موضع، ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها كزيارة صالح أو قريب أو صاحب، أو طلب علم، أو تجارة أو نزهة، لأن المستثنى منه في المفرّغ يقدّر بأعم العام. لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد[1].

ثانياً: مما لا كلام فيه: هو الإجماع والاتفاق على جواز السفر وشدّ الرحال إلى أي مكان كان للتجارة أو طلب العلم، أو الجهاد، أو زيارة العلماء، أو النزهة، أو غير ذلك، فلو كان المستثنى منه في الحديث هو غير المسجد، بل المكان أو «الموضع» للزم عدم جواز شدّ الرحال إلى هذه الجهات المذكورة، وهذا خلاف المتفق والمجمع عليه. فلا بدّ من القول: بأن المستثنى منه في الحديث: هو المسجد يعني لا يقصد بالسفر إلى المسجد إلاّ المساجد الثلاثة.

وحينئذٍ: لا يدّل الحديث، بل ولا إشارة فيه على حرمة شدّ الرحال إلى المشاهد وخصوصاً قبر النبيّ ﷺ وزيارته.

ثالثاً: إن مضمون هذا الحديث غير معمول به حتى على فرض جعل المستثنى منه «المسجد» إذ معناه حينئذٍ عدم جواز شد الرحال إلى أي مسجد إلاّ هذه المساجد الثلاثة، وأما غيرها من المساجد فلا يجوز السفر إليها.

والحال: إن النصوص تصرّح بأن النبي ﷺ والصحابة كانوا يذهبون كل سبت إلى مسجد قبا، وبينه وبين المدينة ثلاثة أميال، مع أن

---

(١) إرشاد الساري: ٢/ ٣٣٢.

«قبا» ليس من المساجد الثلاثة فلا بد من الالتزام بحرمة الذهاب إليها، مع أنّه لم يتفوّه به مسلم.

فعن ابن عمر: «كان النبي يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً، وكان عبد الله يفعله»(١).

رابعاً: إن بلالاً شدَّ الرحال لزيارة قبر النبيّ ﷺ.

روى ابن عساكر: «لما رحل عمر من فتح بيت المقدس، فصار إلى جابية سأله بلال أن يقرّه بالشام ففعل. قال: ثم إن بلالاً رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال.

فانتبه حزيناً وجِلاً، خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويُمرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمّهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك، فلما قال: الله أكبر، ارتجّت المدينة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله ازدادت رجّتها فلما قال: أشهد أنّ محمّداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: بُعِثَ رسول الله، فما رؤيَ بالمدينة بعده ﷺ أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم(٢).

قال الحافظ عبد الغني وغيره: لم يؤذّن بلال بعد النبي ﷺ إلاّ مرّة واحدة في قدومه المدينة لزيارة النبي ﷺ(٣).

قال السُبكي: ليس اعتمادنا على رؤيا المنام فقط، بل اعتمادنا

---

(١) إرشاد الساري: ٢/ ٣٣٢، البخاري: ٢/ ١٣٧.
(٢) أسد الغابة: ١/ ٢٠٨، تهذيب المطالب: ٢/ ٤٠٨، شفاء السقام: ٨٥.
(٣) ولكن ثبت تاريخياً أن بلالاً أذّن بعد النبي(ص) ثلاث مرّات: مرّتان في المدينة ومرّة بالشام. انظر قاموس الرجال: ٢/ ٣٩٨.

على فعل بلال سيما في خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا تخفى عنهم هذه القصة، ورؤيا بلال النبي ﷺ مؤكدة لذلك[١].

وفي فتوح الشام: إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتتمتّع بزيارته؟ فقال: نعم أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة كان أوّل ما بدأ بالمسجد وسلّم على رسول الله ﷺ[٢].

خامساً: استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنّه كان يبرد البريد من الشام، يقول: سلّم لي على رسول الله ﷺ[٣].

موقف العلماء من مزاعم ابن تيمية:

١ ـ قال القسطلاني: قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي ﷺ وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه[٤].

٢ ـ النابلسي: وليس هذا بأول ورطة وقع فيها ابن تيمية واتباعه فإنه جعل شدّ الرحال إلى بيت المقدس معصية... ونهى عن التوسل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى وبغيره من الأولياء... إلى غير ذلك من التهورات الفظيعة الموجبة لكمال القطيعة التي استوفاها الحصني في كتاب مستقل في الردّ على ابن تيمية واتباعه وصرّح فيه بكفره[٥].

٣ ـ وقال الغزالي: كل من تبرّك بمشاهدته في حياته يتبرّك بزيارته

(١) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء): ٣/ ٢٠٥، وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥٧.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٥٨.
(٣) تهذيب المطالب: ٢١/ ٤٠٨.
(٤) إرشاد الساري: ٢/ ٣٢٩.
(٥) الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية: ١٢٩.

بعد موته، ويجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله: لا تشدّ الرحال إلاّ على ثلاثة مساجد[١].

٤ ـ العزامي الشافعي: ولقد تعدى هذا الرجل حتى على الجناب المحمّدي فقال: إنّ شدّ الرّحال إلى زيارته معصية...[٢].

٥ ـ الهيثمي الشافعي: فإنّه بعدما استدلّ على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ بعدّة أدلّة، منها الإجماع. قال: فإن قلت: كيف تحكي الاجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها، وابن تيمية من متأخّري الحنابلة منكرٌ لمشروعية ذلك كلّه، رآه السُبكي في خطّه؟! وقد أطال ابن تيمية الاستدلال لذلك بما تمجُّهُ الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً، وأنه لا تقصر فيه الصلاة. وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعُه بعض من تأخّر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يُعوَّل في شيء من أمور الدين عليه؟! وهل هو إلاّ كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقّبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة، حتى أظهروا سخف سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته...[٣].

والحاصل أن الأحاديث التي أوردها الحفاظ والمحدّثون من السّنة، البالغة حدّ الاستفاضة بل البالغة درجة التواتر، وكذلك فعل الصحابة، وزيارة بلال قبر النبي ﷺ وشدّه الرحال إلى الزيارة بمرأى ومسمع الصحابة وعدم اعتراضهم عليه، وكذلك دعوة عمر بن الخطاب كعب

(١) إحياء علوم الدين: ٢/ ٢٤٧.
(٢) فرقان القرآن: ١٣٣، الغدير: ٥/ ١٥٤.
(٣) انظر الغدير: ٥/ ١١٦، كشف الارتياب: ٣٧٢، الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم: ١٢.

الأخبار لزيارة قبر النبي ﷺ وعدم اعتراض الصحابة في ذلك. تُعد أقوى حجّة وأسمى دليل على جواز شدّ الرحال إلى المشاهد المشرّفة سيّما قبر رسول الله ﷺ، بل تدل على الرجحان والاستحباب إذ في بعضها ورد الأمر بالزيارة وهو للندب عند الجمهور. وللوجوب عند ابن حزم، ولو مرّة واحدة في العمر[١].

٦ ـ الشيخ أحمد القسطلاني: اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام وقال أيضاً لابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شدّ الرحال للزيارة...[٢].

٧ ـ قال الغزالي: وكل من يتبرك بمشاهدته ﷺ في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض...[٣].

٨ ـ وقال الذهبي من جواب الحسن بن الحسن الذي نهى رجلاً رآه واقفاً على البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ يدعو له ويصلي عليه ـ مستدلاً بما نسب إليه ﷺ: لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلّوا عليّ حيث ما كنتم، فأنّ صلاتكم تبلغني.

قال الذهبي: هذا مرسل، وما استدلّ حسن ـ أي الحسن بن الحسن ـ في فتواه بطائل من الدلالة فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً مصلياً على نبيّه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحُب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلّى عليه في أرضه

(١) التاج الجامع للأصول: ٢/ ٣٨٢.
(٢) المواهب اللّدنية: ٣/ ٤٠٣ و٤٠٦.
(٣) إحياء العلوم: ١/ ٢٥٨.

أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلّي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلّى عليه واحدة، صلى الله عليه عشراً، ولكن من زاره ـ صلوات الله عيله ـ وأساء أدب الزيارة أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع فهذا فعل حسناً وسيئاً فيُعلَّمُ برفق[1] والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء، إلاّ وهو محبٌ لله ولرسوله، فحبُّهُ المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار.

فزيارة قبره من أفضل القُرَب، وشدُّ الرّحال إلى قبور الأنبياء والأولياء لئن سلَّمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله: «لا تشدوا. . .» فشدُّ الرحال إلى نبينا مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع إذ لا وصول إلى حجرته إلاّ بعد الدخول إلى مسجده فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله واياكم ذلك[2].

٩ ـ قال المعلق: قصد المؤلف بهذا الاستطراد الرّد على شيخه ابن تيمية الذي يقول بعدم جواز شدّ الرحال لزيارة قبر النبي[3].

١٠ ـ قال زين الدين المراغي: «ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته قربه، للأحاديث الواردة في ذلك. ولقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾[4].

لأن تعظيمه لا ينقطع بموته ولا يقال إنَّ استغفار الرسول لهم إنما

---

(١) لا كما يفعله الوهابية ـ في يومنا ـ عند الحجرة النبوية والقبر الشريف من الاهانة والسب والضرب لمن يمس الضريح أو يقترب منه.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٤: ٥/ ٤٨٤.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٤: ٥/ ٤٨٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك، لما أجاب به بعض أئمة المحققين: إنّ الآية دلت على تعليق وجدان الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين والمؤمنات، لأنه ﷺ قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات[١].

فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته[٢].

زيارة القبور والمشاهد:

هذا كلّه بالنسبة إلى زيارة قبر النبي ﷺ، وأمّا زيارة سائر القبور وشدُّ الرحال إليها، فكذلك ممّا لا كلام في مشروعيتها أيضاً وقد حثّ النبيّ الكريم على زيارتها ورغّب المسلمين في ذلك، كما قام هو بزيارة القبور، وزيارة قبر أُمّه آمنة بنت وهب رضي الله عنها، كما ثبت ذلك أيضاً من سيرة المسلمين ودأبهم على زيارة قبور المسلمين.

الأحاديث في زيارة القبور:

١ ـ سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ: نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها[٣].

قال الشيخ منصور: فزوروها والأمر للندب عند الجمهور، وللوجوب عند ابن حزم ولو مرّة واحدة في العمر[٤].

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٢) المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية: ٣/ ٤٠٥.
(٣) صحيح مسلم: ٣/ ٦٥، سنن النسائي: ٤/ ٨٩، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٠ الرقم ١٣٨٥.
(٤) التاج الجامع للأصول: ١/ ٣٨١، جامع الأصول: ١١/ ٤٣٨.

٢ ـ عن النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمّد في زيارة قبر أمّه، فزوروها فإنّها تذكّر الآخرة.

رواه الخمسة إلاّ البخاري واللفظ للترمذي.

قال: والمّيت يأنس بالزائر وينتفع بالدعاء والقرآن وما تسمح به الحال من صدقة، وهذه هي حكمة الزيارة[١].

٣ ـ عن النبي ﷺ: نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي[٢].

٤ ـ عن النبي ﷺ: إئتوا موتاكم فسلّموا عليهم، أو ـ صلّوا ـ فإنّ بهم عبرة[٣].

٥ ـ كان النبي يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، وجاءها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فلما قدم معاوية حاجًا جاءهم، قال: وكان النبي ﷺ إذا واجه الشّعب، قال: سلام عليكم بما صبرتم[٤].

٦ ـ عن عائشة: كان رسول الله ﷺ كلّما كانت ليلتين يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد[٥].

٧ ـ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: ألا فزوروا القبور فإنّها تزهّد في الدنيا وتذكّر الآخرة[٦].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) مسند أحمد: ٢/ ٣٣٧، انظر موسوعة أطراف الحديث: ١٠/ ١٨١.
(٣) أخبار مكة: ٢/ ٥٢.
(٤) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٣٢.
(٥) وفاء الوفاء: ٣/ ٨٨٣، عن مسلم: ٣/ ٦٣، والنسائي، السنن الكبرى: ٤/ ١٣٢.
(٦) سنن ابن ماجه: ١/ ٥٠١، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣١، أخبار مكة: ٤/ ٥٣.

٨ ـ عن أنس عن النبي ﷺ: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فأنّها تذكّركم الموت[١].

٩ ـ عن النبي: إني نهيتكم عن زيارة القبور، من شاء منكم أن يزور قبراً فليزره فإنّه يرق القلب ويدمع العين ويذكّر الآخرة[٢].

١٠ ـ طلحة بن عبد الله: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا[٣].

١١ ـ عن عائشة، عن النبي ﷺ: «إن جبرئيل أتاني... فقال إن ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»[٤].

فعل الصحابة والتابعين:

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: إن فاطمة بنت رسول الله كانت تزور قبر حمزة رضي الله تعالى عنه، ترمّهُ وتصلحه وقد تعلّمته بحجر[٥].

٢ ـ روى رزين عنه أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة[٦].

٣ ـ رواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام وزاد: فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت[٧].

(١) مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣١ الرقم ١٣٨٨.
(٢) مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٣ الرقم ١٣٩٤، الجنائز، انظر مجمع الزوائد: ٣/ ٥٨.
(٣) سنن أبي داود: ٣/ ٢١٦، السنن الكبرى: ٤/ ١٢٧، ومن طريق العطاف: إن النبي زار قبور الشهداء بأحد (وفاء الوفاء: ٣/ ٩٣٢).
(٤) السنن الكبرى: ٤/ ١٣٢.
(٥) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٢، السنن الكبرى: ٤/ ١٣١، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٣، وفاء الوفاء: ٢/ ٩٣٢، انظر الغدير: ٥/ ١٦٧.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

٤ ـ عن علي عليه السلام: إنّ فاطمة كانت تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة فتصلّي وتبكي عنده[١].

٥ ـ ابن أبي مليكة: رأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن ومات بالحبشي وقُبِرَ بمكة[٢].

٦ ـ وقال: إن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها[٣].

٧ ـ روى البيهقي عن هاشم بن محمد العمري من ولد عمر بن علي قال: أخذني أبي بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين الفجر والشمس، فكنت أمشي خلفه فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته، فقال: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. قال: فأُجيب وعليك السلام يا أبا عبد الله، فالتفت أبي إليّ فقال: أنت المجيب؟ فقلت: لا، فجعلني عن يمينه ثم أعاد السلام، ثم جعل كلّما سلم يُرَّد عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرّات. فخرَّ ساجداً شكراً لله[٤].

٨ ـ عن يحيى عن العطاف قال: حدّثتني خالة لي، وكانت من العوابد قالت: ركبت يوماً معي غلام حتى جئت إلى قبر حمزة، فصلّيت ما شاء الله ولا والله ما في الوادي داعٍ ولا مجيب يتحرّك وغلامي قائم آخذ برأس دابتي. فلما فرغت من صلاتي قمت فقلت: السلام عليكم، وأشرت بيدي فسمعت ردّ السلام عليَّ من تحت الأرض، أعرفه كما

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٠.
(٣) السنن الكبرى: ٤/ ١٣١.
(٤) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٣٣.

أعرف أن الله خلقني وأقشعرت كل شعرة منّي، فدعوت الغلام، فقلت: هات دابتي فركبت[١].

٩ ـ قال الذهبي: ... حجّ هارون الرشيد، فورد المدينة، فقال ليحيى بن خالد: إرتد لي رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبرئيل على النبي ﷺ ومن أي وجه كان يأتيه وقبور الشهداء.

فسأل يحيى، فكلُّ أحد دلّهُ عليَّ فبعث إليَّ فَأتيتهُ فواعدني إلى عشاء الآخرة، فإذا شموع، فلم أدع مشهداً ولا موضعاً إلاّ أريتها، فجعلا يصليان ويجتهدان في الدعاء، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر[٢].

القبور المقصودة بالزيارة:

هناك قبور للصحابة وغيرهم من الصالحين والمؤمنين، جرت سيرة المسلمين قديماً وإلى يومنا هذا في زيارتها والتوسّل والتبرّك بها... وفيما يلي نبذة منها:

١ ـ قبر بلال بن حمامة الحبشي: مؤذّن رسول الله ﷺ المتوفى عام ٢٠هـ بدمشق، وفي رأس القبر تاريخ باسمه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، قد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم[٣].

٢ ـ قبر سلمان الفارسي المتوفى عام ٣٦هـ: قال الخطيب البغدادي: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى، عليه بناء وهناك خادم مقيم وزرتُه غير مرّة[٤].

(١) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٣٢.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٦٤.
(٣) رحلة ابن جبير: ٢٢٩، انظر الغدير: ٥/ ١٨٤.
(٤) تاريخ بغداد: ١٢/ ٢٤١.

وقال ابن الجوزي: قال القلانسي وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا[١].

٣ ـ قبر أبي أيوب الأنصاري المتوفّى عام ٥٢ بالروم: قال الحاكم: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا[٢].

٤ ـ مشهد رأس الحسين عليه السلام بمصر: قال ابن جبير المتوفّى عام ٦١٤هـ: «هو في تابوت فضّة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به... ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلّها كأنّه المرآة الهندية، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسّحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم حوله، مزدحمين داعين باكين متوسّلين إلى الله سبحانه ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين بما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم...»[٣].

٥ ـ قبر عمر بن عبد العزيز الأموي المتوفى ١٠١هـ: وقبره بدير سمعان[٤] يزار[٥].

٦ ـ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المدفون بالكاظمية، الشهيد عام ١٨٣هـ: قال الخطيب... سمعت الحسن بن إبراهيم ـ شيخ الحنابلة

---

(١) المنتظم ١٢/٢٤١.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/٥١٨ الرقم ٥٩٢٩، صفة الصفوة: ١/٤٧٠.
وفي رحلة ابن بطوطة: ١/١٨٧ عن قبر طلحة وعليه قبة ومسجد والناس يعظّمونه.

(٣) رحلة ابن جبير: ١٩.

(٤) وهو دير بنواحي دمشق معجم البلدان: ٢/٥٨٦.

(٥) تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠٠ ص٢٦، تذكرة الحفاظ: ١/١٢١.

في عصره ـ يقول: ما همّني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أحبّ[(١)].

٧ ـ قبر الإمام الجواد عليه السلام

قال ابن عماد: توفي ببغداد أبو جعفر محمد الجواد... ودفن عند جدّه موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة[(٢)].

٨ ـ قبر الإمام الرضا عليه السلام: قال محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى علي بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيرنا[(٣)].

٩ ـ محمد بن إدريس الشافعي: إمام الشافعية المتوفى ٢٠٤هـ دفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم[(٤)].

١٠ ـ أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفى ٢٤١هـ: قال الذهبي: ضريحه يزار ببغداد[(٥)].

١١ ـ أبو حنيفة إمام الحنفية المتوفى ١٥٠هـ: وقبره في الأعظمية ببغداد مزار معروف[(٦)].

---

(١) تاريخ بغداد: ١/ ١٢٠، انظر البداية والنهاية: ٥/ ٨٨.
(٢) شذرات الذهب: ٣/ ٩٧.
(٣) وفيات الأعيان: ٤/ ١٦٥، تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٣٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ميزان الاعتدال: ١/ ١١٤. قال الخطيب: «عن أبي الفرج الهندباني: كنتُ أزور قبر أحمد بن حنبل فتركتُه، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول لي: لِمَ تركتَ زيارة قبره!!» تاريخ بغداد: ٤/ ٤٢٣.
(٦) تاريخ بغداد: ١/ ١٢٣.

عن الشافعي: وأجيء إلى قبره كل يوم زائراً[١].

١٢ ـ قبر ذي النون المصري المتوفى عام ٢٤٦هـ دفن بالقرافة وعلى قبره مشهد مبني. . . زُرته غير مرّة[٢].

١٣ ـ قبر إسماعيل بن يوسف الديلمي: قال المعافي: الناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخي، وبينهما قبور يسيرة، وقد زرتُه مراراً[٣].

١٤ ـ قبر مصعب بن الزبير المتوفى عام ١٥٧هـ: قال ابن الجوزي: زارت العامة قبره بمسكن[٤] كما يزار قبر الحسين عليه السلام[٥].

أقول: أين الثرى من الثريا، وأين السفاك للدماء المتمني إمرة العراق[٦] وأين سيّد شباب أهل الجنّة!!

١٥ ـ ليث بن سعد الحنفي إمام مصر، المتوفى عام ١٧٥هـ. دفن بالقرافة الصغرى، وقبره يزار رأيته غير مرّة[٧].

١٦ ـ قبر أبي عوانة عليه مشهد مبني بأسفرائين يزار وهو بداخل المدينة[٨].

١٧ ـ وقال ابن عساكر: إنّ قبر أبي عوانه باسفرائين مزار العالم ومتبرك الخلق. .[٩].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) وفيات الأعيان: ١/٣١٨.
(٣) صفة الصفوة: ٢/٤١٣.
(٤) موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير عام ٧٢ قُتِل مصعب وقبره هناك معروف. معجم البلدان: ٥/١٢٧.
(٥) المنتظم: ١٥/١٤.
(٦) انظر سير أعلام النبلاء: ٤/١٤١.
(٧) الجواهر المضيئة: ٢/٧٢٠ الرقم ١١٣١.
(٨) تذكرة الحفاظ: ٣/ ٧٨٠ رقم الترجمة ٧٧٢.
(٩) وفيات الأعيان: ٦/ ٣٩٤، انظر الأنساب للسمعاني: ٣/ ٤٨٤، حيث يقول: زرت قبره ـ سير أعلام النبلاء: ١٤/٤١٩.

قال ابن الصفار الأسفرايني: كان جدّي إذا وصل إلى مشهد الأستاذ - أبي إسحاق - رأيته لا يدخله احتراماً، بل كان يقبِّل عتبة المشهد وهي مرتفعة بدرجات، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير، ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم عظيم الهيبة، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشدّ تعظيماً له وإجلالاً وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك[1].

١٨ - قبر الحافظ أبي الحسن العامري المتوفى عام ٤٠٣هـ. عكف الناس على قبره ليالي يقرؤون القرآن ويدعون له وجاء الشعراء من كل أوب يرثُون ويترحمون[2].

١٩ - قبر المعتمد على الله، المتوفى عام ٤٨٨هـ: وهو أبو القاسم محمد بن المعتضد اللخمي الأندلسي، اجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدايح... فرثوه بقصائد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر رثاه بقصيدة منها:

قَبَلْتُ في هذا الثرى لك خاضعاً ... وجعلتُ قبرك موضع الإنشاد

ولما فرغ من إنشادها، قبَّل الثرى ومرَّغ جسمه وعفَّر خدّه فأبكى كلَّ من حضر[3].

٢٠ - قبر نصر بن إبراهيم المقدسي المتوفى ٤٩٠هـ: شيخ الشافعية، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير، وقبره ظاهر يزار[4].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) البداية والنهاية: ١١/ ٣٧٥.
هو صاحب الأندلس بعد أبيه وقاتل ملك الفرنج واستأصل جمعهم ثم بعد ذلك هاجت الفتنة بأندلس فأُسر ثم قتل (سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٦٣).

(٣) المواهب اللدنية: ٣/ ٣٩٠، شذرات الذهب: ٥/ ٣٨٨.

(٤) المواهب اللدنية: ٣/ ٣٩٦، شذرات الذهب: ٢/ ٣٩٧، انظر العبر: ٢/ ٣٦٣.

٢١ ـ القاسم بن فيره الشاطبي: المتوفى ٥٩٠هـ: دفن بالقرافة وقبره مشهور معروف يقصد للزيارة وقد زرته مرّات[١].

٢٢ ـ قبر أحمد بن جعفر الخزرجي البستي نزيل مراكش، ت٦٠١هـ: قال صاحب نيل الابتهاج: ... وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه من روضته من ازدحام الخلق عليها وقضاء حوائجهم وقد زرتُه ما يزيد على خمسمائة مرّة، وبتُّ هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة[٢].

٢٣ ـ قبر سفيان الثوري: قال ابن حبان: «وقبره ـ أي سفيان ـ في مقبرة بني كليب بالبصرة وقد زرته»[٣].

من هو ابن حبان؟

هو: «الإمام العلاّمة الحافظ، المجوِّد شيخ خراسان كما عن الذهبي، وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار، وصنّف المسند الصحيح وفقّه الناس بسمرقند كما قاله الإدريسي.

وهو من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال كما عن الحاكم النيسابوري.

وكان ثقة نبيلاً فهماً كما عن الخطيب البغدادي[٤].

ومن أعلام القرن الثالث. فمن كان بهذه المرتبة من العلم والفضل والفقه ـ على ما قالوا ـ تراه يشد الرحال لزيارة القبور، ولا يراه شركاً وحراماً كما زعمه الوهابية، وقد تعرضنا لترجمته سابقاً.

(١) طبقات القراء: ٢/ ٢٢.
(٢) نيل الابتهاج: ٦٢.
(٣) النجوم الزاهرة: ٧/ ٨٠.
(٤) كتاب الثقات: ٦/ ٤٠٢، الأنساب: ١/ ٥١٧.

٢٤ ـ قبر الملك المظفر: «قال قطب الدين: كان قبره يقصد للزيارة دائماً واجتزتُ به في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة وترجّمتُ عليه وزرتهُ»[1].

هذا مختصر ممّا ورد في كتب التراجم والتواريخ والحديث، من: زيارة القبور، ومضى على ذلك الصحابة والتابعون، فإنّهم كانوا يعظّمون قبر النبي الكريم ويقصدونه للزيارة، وكذلك قبور الأئمّة الطاهرية، والصالحين والأولياء والعلماء، فقد كانت تشدّ الرحال إليها من دون أن ينكر ذلك أحد.

وبعد هذه الشواهد والنصوص: ما هي حجّة ابن تيمية ومن يقول بمزاعمه، في حرمة زيارة القبور وشدّ الرحال إليها؟!

وما ذنب الشيعة الإمامية لو عملت بمقتضى السنّة الشريفة، وسلكت سيرة المسلمين في زيارة القبور؟!

هل كانت القبور المقصودة كلّها قبوراً للإماميّة؟! وهل الزائرون لها كانوا كلّهم شيعة اثني عشرية؟! هل كان ابن خزيمة وعديله الثقفي من الشيعة؟ وهل شيخ الحنابلة كان شيعياً حيث يزور قبر الكاظم عليه السلام؟ وهل كان ابن حبان شيعياً حيث يزور قبر الرضا عليه السلام؟ أم هل كان الشافعي محمد بن إدريس شيعياً وهو يزور قبر أبي حنيفة كل يوم؟ وهل كانت عائشة من شيعة علي عليه السلام وهي تزور قبر أخيها عبد الرحمن بمكّة؟!

راي فقهاء السنّة:

١ ـ العسقلاني: فإنّه بعد أن نقل حديث أنس: مرّ النبي صلى الله عليه وآله بأمراة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري»...

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٢.

قال: واستدل به على زيارة القبور، سواء كان الزائر رجلاً أو امرأة، وسواء كان المزور مسلماً أو كافراً لعدم الاستفصال في ذلك. . .

٢ ـ قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور. وقال صاحب الحاوي، أي الماوردي: لا تجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط.

وحجّة الماوردي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ وفي الاستدلال بذلك نظر لا يخفى.

قال: وبالجملة: فتستحب زيارة قبور المسلمين للرجال لحديث مسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكُر الآخرة.

٣ ـ وسُئل مالك عن زيارة القبور؟ فقال: قد كان نهى عنه، ثم أذن فيه، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلاّ خيراً لم أرَ بذلك بأساً[١].

٤ ـ السمهودي: أجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها[٢].

زيارة النبي ﷺ قبر أُمّه:

وممّا ورد في زيارة القبور ما رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ أُمّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربّي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأُذن لي فزوروا القبور فإنّها تذكّركم الموت[٣].

---

(١) إرشاد الساري: ٣/ ٤٠٠.
(٢) وفاء الوفاء: ٤/ ١٣٦٢.
(٣) مسلم: ٣/ ٦٥، الجنائز، النسائي: ٤/ ٩٠، مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٢، السنن الكبرى: ٤/ ١٢٨.

بحث في إيمان والدي النبي ﷺ:

أقول: والنصوص والشواهد التاريخية كلها تشهد على إيمان والدي الرسول ﷺ حاشاهما من الشرك. كيف ولم يزل يُنقل من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهّرة. كيف والآية الكريمة صريحة أو ظاهرة في ذلك: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1] وقد ورد ذيل هذه الآية الكريمة في التفاسير:

١ - روى السيوطي عن ابن أبي عمر العدني في مسنده والبزار وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: «من نبي إلى نبي حتى اخرجت نبياً»[2].

٢ - وروى أيضاً: عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: ما زال النبي ﷺ يتقلّب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمّه[3].

٣ - وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله فقلت: بأبي أنت وأمّي أين كنت وآدم في الجنة؟ فتبسّم حتّى بدت نواجذه ثم قال: إنّي كنت في صلبه وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذّباً لا تتشعّب شعبتان إلاّ كنت في خيرهما قد أخذ الله بالنبوّة ميثاقي وبالإسلام هداتي وبيّن في التوراة

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.
(٢) الدر المنثور: ٥/٩٨.
(٣) الدر المنثور: ٥/٩٨.

والإنجيل ذكري وبيّن كلّ شيءٍ من صفتي في شرق الأرض وغربها وعلّمني كتابه ورقى بي في سمائه وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد ووعدني أن يحبوني بالحوض وأعطاني الكوثر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ثم أخرجني في خير قرون أُمّتي، وأُمتي الحمّادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1].

إذن فالآية الشريفة، وقوله ﷺ في الحديث الأخير: «لم يلتقِ أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفًى مهذّباً. . .» كاشفان تماماً من طهارة آباء وأُمّهات الرسول ﷺ من دنس ونجس، فهم مبرّأون من الشرك لأن المشركين نجس.

إذن فإمنة بنت وهب رضوان الله عليها كانت موحُدة مؤمنة وحنيفية غير مشركة وعلى هذا تكون الرواية الماضية التي رواها كلّ من مسلم والنسائي عن أبي هريرة هي إحدى الإساءات إلى والدي رسول الله ﷺ.

ولذا نرى بعض المنصفين من الشرّاح لهذا الحديث قاموا بتأويلات تنبىء عن أن فطرتهم السليمة تأبى قبول هذه المضامين:

قال الشيخ منصور: «وهذا لا ينافي دخولها الجنّة، فإنّها من أهل الفترة، والجمهور على أنّهم ناجون. . . بل قد ورد وصح عند أرباب الكشف: أن الله تعالى أحيا أبوي النبي بعد رسالته فآمنا به، فلهذا كانا من أهل الجنّة»[2].

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ٩٨.
(٢) التاج الجامع للأصول: ١/ ٣٨٢.

أقول: ثم إنّ التفسير لهذه الآية لم يختص بالشيعة[(١)] الإمامية ولا هم الذين تفردوا بنقل رواياتها، بل كما رأيت رواه السيوطي عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والعدني، والبزار والطبراني، عن مجاهد وابن عباس[(٢)] فلا وجه لما نسبه الرازي[(٣)] في تفسيره إلى خصوص الشيعة[(٤)].

---

(١) قال الزمخشري: . . . فالآية دليل على ثبوت الإيمان والتوحيد بالنسبة إلى آباء النبي(ص) وأجداده الكرام وأنهم ينقلون من الأصلاب الساجدة الطاهرة إلى الأرحام الساجدة المطهّرة. أُنظر كتاب: أبو طالب وبنوه: ٢١٩ للسيّد علي خان، منية الراغب: ٥٦ للمرحوم آية الله الطبسي.

(٢) أُنظر الميزان: ١٥/ ٣٦٧.

(٣) التفسير الكبير: ٢٤/ ١٧٣.

(٤) أضف إلى قوّة دليلهم: وذلك لأن الآية فيها وجوه:

١ ـ المراد ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه بالتهجّد وتقلّبه في تصفح أحوال المجتهدين ليطلع على أسرارهم.

٢ ـ المعنى: يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلّبه في الساجدين: أي تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذ كان إماماً لهم.

٣ ـ المعنى أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلّبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين.

٤ ـ المراد: تقلّب بصره فيمن يصلّي خلفه، من قوله ﷺ: أتمّوا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلفي.

أقول: كما أن الآية الشريفة تحتمل هذه الوجوه الأربعة ولا دليل على وجه دون آخر. كذلك يحتمل فيه وجه خامس: تعاضده روايات من السنة ومن طرق الخاصّة أيضاً: وهو: أن يكون المراد أن الله تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد. فيحمل الآية على كل هذه الوجوه من دون رجحان وذلك لأن النبي(ص) يقول: لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات. مع أن الكافر نجس ﴿إنما المشركون نجس﴾ فكيف تجتمع النجاسة والشرك، مع طهارة الصلب والرّحِم؟

فلا بد وأن يكون والدا النبي مسلمين.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ دليل على كفر آباء النبي.

قلنا: يطلق الأب على العم كما في الآية الشريفة: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ فسمى أبناء يعقوب، إسماعيل أباً ليعقوب، مع أنه عمّ له.

إن قلت: إن حمل الآية على جميع الوجوه غير جائز.

قلنا: أولاً: أنها على المبنى من جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد.

ثانياً: حتى ولو اخترنا هذا المبنى الأصولي، لكن لا ينفي الاحتمال الخامس، ولا يثبت سائر الاحتمالات.

الشيء يذكر بالشيء:

ومع الأسف وقع نظير هذا البحث والخلط في حامي رسول الله ﷺ وناصره سيّدنا أبي طالب ﷺ. فكل من يقف على مواقفه البطولية وأشعاره وخطاباته، يذعن بأنه مؤمن وموحّد ومعتقد بالنبيّ ﷺ وبرسالته، ولكن العصبية الأموية والنزعة الخيبرية، والأحقاد تمنع من التصريح بالحق، والتفوّه بما هو الواقع: وأن أبا طالب مات مؤمناً وموحّداً.

وفيما يلي كلام غريب لابن كثير: «قلت... وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودّة والمحبّة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمّنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذّبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامى، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كلّه يعلم أن رسول الله صادق بار راشد، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه...»[1].

أُنظر إلى هذه العصبية من ابن كثير، فكأنّه كان في قلب أبي طالب، فعرف ما فيه!! أو كأنّه ـ والعياذ بالله ـ يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور!

فتراه يعترف لأبي طالب بأنّه صدّق النبي ﷺ ولكن لا بقلبه!!

نعم؛ وما نَقَم ابن كثير وأضرابه من أبي طالب عليه السلام إلاّ أنّه والد علي عليه السلام، ولو كان والد معاوية، لكان حَظّهُ أكثر وأكبر من حظّ أبي سفيان ونصيبه من الثناء المكذوب والمناقب المفتريات.

---

(١) البداية والنهاية: ١١/ ١٢٤.

الفصل الخامس

زيارة النساء للقبور

١ ـ فاطمة الزهراء عليها السلام تزور قبر حمزة
٢ ـ عائشة تزور قبر أخيها
٣ ـ مناقشة حديث زوارات القبور
٤ ـ فتوى علماء السنّة على الجواز
٥ ـ كلام القسطلاني ذيل رواية أنس
٦ ـ مناقشة طرق الحديث

هل يجوز للنساء زيارة القبور؟

لقد ورد عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها كانت تزور قبر حمزة سيّد الشهداء وسائر شهداء أُحد كل جمعة، أو بالاسبوع مرّتين وهذا كان على عهد أبيه صلى الله عليه وآله، ثم بعد أبيها إلى أن توفيت. ولم يرد نهي لها لا من النبي صلى الله عليه وآله ولا من علي عليه السلام ولا من أيٍ من الصحابة، وهي أعرف بدين أبيها من غيرها. فزارت القبور مرّات عديدة.

كانت فاطمة تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة فتصلّي وتبكي عنده[1].

وفي رواية: كانت تزور قبور الشهداء بأُحد بين اليومين والثلاثة، فتصلّي هناك وتدعو وتبكي[2].

كما ورد عن عائشة أنّها كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن بمكة:

١ ـ قال ابن أبي مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، ومات بالحُبشي[3] وقُبِرَ بمكة[4].

٢ ـ وقال أيضاً: إنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن زيارة القبور؟ قالت: كان نهى ثم أمرَ بزيارتها[5].

---

(١) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٢ و٥٧٤، السنن الكبرى: ٤/ ١٣١.

(٢) السنن الكبرى: ٤/ ١٣١، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٣.

(٣) جبل بأسفل مكة على ستة أميال، معجم البلدان: ٢/ ٢١٤.

(٤) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٠.

(٥) السنن الكبرى: ٤/ ١٣١.

مناقشة الحديث المروي:

وأما ما نقل عن النبي ﷺ قال: لعن الله زائرات القبور[١].

أولاً: ففيه مضافاً إلى أنه منسوخ بحديث بريدة كما صرح بذلك الحاكم والذهبي، أنه معارض بما روته عائشة عن النبي ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم أمرَ بزيارتها[٢]. وصحّحه الذهبي في حاشية المستدرك وقال: الحديث صحيح.

ثانياً: معارض بفعل عائشة أيضاً حيث كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن، فإنّه مات فُجأة سنة ٥٣ للهجرة بجبل بقرب مكة فأدخلته الحرم ودفنته[٣]. فهل كانت عائشة تريد مخالفة سنّة رسول الله ﷺ، فتستحق «اللعن» كمان في هذا الحديث!!

ثالثاً: إنّه مخالف لما ثبت عن فعل فاطمة عليها السلام من زيارتها لقبر النبي ﷺ بعد دفنه وزيارة قبر حمزة والشهداء كل جمعة أو كل أسبوع مرّتين فهل ترى فاطمة تريد مخالفة سنّة ثابتة عن النبي ﷺ؟! أو أنها - نعوذ بالله - غير عارفة بالسنّة؟! وأهل البيت أدرى بما في البيت مع أن زيارتها قبور شهداء أُحد كانت على عهد النبي ﷺ واستمرّت الزيارة سبع سنوات من حياة النبي ﷺ فكيف لم ينهها النبي ﷺ؟ وكذلك زارت قبر النبي ﷺ بعد وفاته؛ فعن علي عليه السلام: «لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول...»[٤].

---

(١) رواه أصحاب السنن، غير البخاري ومسلم، أنظر مصنف عبد الرزاق: ٣/٥٦٩.
(٢) السنن الكبرى: ٤/ ١٣١، الحاكم: ١/ ٣٧٤.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٦٩.
(٤) إرشاد الساري: ٣/ ٣٥٢.

فكيف لم يعارضها علي عليه السلام ولا أحد من الصحابة إن كانت زيارة النساء للقبور محرّمة.

رابعاً: إن فتوى علماء السنة على الجواز وأمّا اللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن، وإلاّ فزيارة النساء للقبور بشرط الصبر جائزة، كما في التاج:

١ ـ واللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن وكل حديث يحرّم خروجهن للجنازة أو زيارتهن للقبور فمحمول على ذلك، وإلاّ فزيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج. وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة، لعموم الحديث الأوّل[١]. ولقول عائشة في الحديث الثاني: كيف أقول؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله[٢]...

ولزيارة عائشة لقبر أخيها عبد الرحمن، فلما اعترضها عبد الله، قالت: نهى رسول الله عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها[٣].

٢ ـ قال الملاّ علي قاري: ظاهر هذا الحديث ـ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ـ العموم، لأن الخطاب في «نهيتكم» كما أنّه عام للرجال والنساء على وجه التغليب أو أصالة الرجال فكذلك الحكم في ـ فزوروها ـ. مع أن ما قيل من أن الرخصة عامة لهنّ. فهذه الأحاديث بتعليلاتها تدل على أنّ النساء كالرجال في حكم الزيارة. إذا زرْنَ بالشروط المعتبرة في حقهنّ، ويؤيّده الخبر السابق أنّه عليه الصلاة

(١) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمّد في زيارة قبر أمّه فزوروها فإنّها تذكّر الآخرة، رواه الخمسة إلاّ البخاري واللفظ للترمذي.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧١.

(٣) التاج الجامع للأصول: ٢/ ٣٨١.

والسلام، مرّ بالمرأة فأمرها بالصبر، ولم ينهها عن الزيارة...[١].

٣ ـ وقال ابن عبد البر: احتج من أباح زيارة القبور للنساء بما حدّثناه عبد الله بن محمد، قال: حدّثنا عبد الحميد... عن ابن أبي مليكة أنّ عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، كان نهى عن زيارتها ثم أمرَ بزيارتها[٢].

وعن ابن أبي مليكة: قال: زارت عائشة قبر أخيها في هودج.

قال أبو بكر: وحدّثنا مسرد، قال: حدّثنا نوح بن دراج، عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تزور قبر حمزة بن عبد المطلب كلّ جمعة وعلّمته بصخرة[٣].

كلام القسطلاني ذيل رواية أنس:

«مرّ النبيّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: إتقي الله واصبري، قالت: إليك عنّي، فإنّك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه...».

فإن قلت: من أين تؤخذ مطابقة الحديث للترجمة؟ أجيب:

من حيث إنّه ﷺ لم ينه المرأة المذكورة عن زيارة القبور سواء أكان الزائر رجلاً أو امرأة، وسواء أكان المزور مسلماً أو كافراً لعدم الاستفصال في ذلك.

---

(١) مرقاة المفاتيح: ٢٤٨/٤.
(٢) وقد صحّح الذهبي هذا الحديث، انظر مستدرك الحاكم: ٣٧٦/١.
(٣) تمهيد شرح الموطأ: ٢٣٤/٣.

قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور...

وقال: وبالجملة: فتستحب زيارة قبور المسلمين للرجال، لحديث مسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكِّر الآخرة.

... وتكرة للنساء لجزعهن. وأما حديث أبي هريرة المروي عند الترمذي، وقال حسن صحيح: لعن الله زوارات القبور، فمحمول على ما إذا كانت زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن.

وقال القرطبي: وحمل بعضهم حديث الترمذي في المنع على من تكثر الزيارة لأن زوارات للمبالغة[١].

والحاصل: إن زيارة النساء للقبور جائز عند القسطلاني لكن على كراهية، وأما رواية اللعن، فمحمول على ما كان فيه التعديد والنوح...

٤ ـ قال ابن عبد البر ـ بعد نقل هذه الأحاديث ـ قال أبو بكر:

وسمعت أبا عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يسأل عن المرأة تزور القبر، فقال: أرجو إن شاء الله أن لا يكون به بأس.

عائشة زارت قبر أخيها. قال: ولكن حديث ابن عباس: «إنّ النبي لعن زوارات القبور».

ثم قال: هذا أبو صالح ماذا؟ كأنه يضعِّفه، ثم قال: ارجو إن شاء الله أن عائشة زارت قبر أخيها[٢].

٥ ـ الحافظ الألباني: فإنّه أورد حديث «لعن رسول الله زائرات القبور». ثم قال: فلم نجد في الأحاديث ما يشهد له، فهذا القدر من

(١) إرشاد الساري: ٣/ ٤٠٠.
(٢) التمهيد في شرح الموطأ: ٣/ ٢٣٤.

الحديث (لعن الله المتخذين عليها السرج) ضعيف وإن لهج إخواننا السلفيون بالاستدلال به، ونصيحتي إليهم أن يمسكوا عن نسبته إليه لعدم صحّته[١].

٦ ـ قال ابن عابدين، المتوفى عام ١٢٥٣:

هل تستحب زيارة قبره ﷺ للنساء؟ الصحيح: نعم بلا كراهة بشروطها على ما صرّح به بعض العلماء، إمّا على الأصحّ من مذهبنا وهو قول الكرخي وغيره: من أن الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً فلا إشكال، وإما على غيره فذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب. بل قيل: واجبة، ذكره في شرح اللباب[٢].

٧ ـ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقد رأى بعض أهل العلم أنّ هذا كان قَبْلَ أن يُرخِّصَ النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخّص دخل في رخصته الرجال والنساء.

وقال بعضهم: إنّما كَرِه زيارة القبور للنساء، لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن[٣].

٨ ـ القسطلاني: ... ولا يكره لهن زيارة قبر النبي ﷺ بل تندب، وينبغي كما قال ابن الرفعة والقمولي ـ أن تكون قبور سائر الأنبياء والأولياء كذلك[٤].

بحث في السند:

إنّ حديث لعن رسول الله زائرات القبور ورد بطرق ثلاث:

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السلبي في الأمة: ٢٦٠.
(٢) رد المحتار على الدرّ المختار: ٢/ ٢٦٣، انظر الغدير: ٥/ ١٢١.
(٣) الجامع الصحيح: ٣/ ٣٧٢ ذيل باب ٦٢ ح١٠٥٦.
(٤) إرشاد الساري: ٣/ ٤٠٠.

١ ـ عن حسان بن ثابت.

٢ ـ عن ابن عباس.

٣ ـ عن أبي هريرة.

أ ـ وقد أورد ابن ماجة الحديث بطرقه الثلاثة[١].

ب ـ كما أورد أحمد الحديث بطريقين من الثلاثة:

١ ـ حسّان بن ثابت[٢].

٢ ـ وطريق أبي هريرة[٣].

ج ـ كما أورد الترمذي الحديث عن طريق أبي هريرة فقط[٤].

د ـ وأورد أبو داود الحديث، عن طريق ابن عباس فقط[٥].

وأما البخاري ومسلم فلم يخرجا الحديثين بالمرّة، كما أن أصحاب السنن لم يتفقوا على طريق من الطرق، نعم الطريق الثالث: وهو حديث أبي هريرة اتفق عليه ابن ماجة وأحمد والترمذي.

وأما الطريق الأوّل: فاتفق عليه ابن ماجة وأحمد.

وأما الطريق الثاني: ابن عباس: اتفق عليه أبو داود وابن ماجة.

المناقشة في الطرق:

أما الطريق الأوّل، الذي نقله ابن ماجة وأحمد، والذي ينتهي إلى

(١) سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٢.
(٢) مسند أحمد: ٣/ ٤٤٢.
(٣) مسند أحمد: ٢/ ٣٣٧ و٣٥٦.
(٤) الجامع الصحيح: ٢/ ٣٧٠.
(٥) سنن أبي داود: ٣/ ٣١٨.

حسّان بن ثابت، ففي السند: عبد الله بن عثمان بن خثيم: وأحاديثه ليست بالقوية كما روى ابن الدورقي عن ابن معين ولأبي حاتم فيه رأيان: أحدهما أنّه: لا يحتج به. وعن النسائي: أنه ليّن الحديث[١].

وفي الطريق: عبد الرحمن بن بَهمان، ولم يحدث عنه سوى ابن خثيم، وقال ابن المديني: لا نعرفه[٢].

وأما الطريق الثاني، فيه أبو صالح وهو باذان، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: ولم أعلم أحداً من المتقدّمين رضيه[٣].

أما الطريق الثالث ـ عن أبي هريرة: ففيه عمر بن أبي سلمة، قال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن خُزيمة: لا يحتج بحديثه.

وقال ابن معين: هو ضعيف.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به[٤].

فالحديث بكل طرقه مورد للإشكال السندي، ولعلّه لهذا لم يخّرجهُ الشيخان في صحيحيهما.

أضف إلى الإشكالات والمعارضات التي أوردناها. وكلام الفقهاء في شرح الحديث، وفتواهم في جواز بل استحباب زيارة القبور للنساء والرجال.

---

(١) أُنظر ميزان الاعتدال: ٢/ ٤٥٩.

(٢) انظر ميزان الاعتدال: ٢/ ٥٥١.

(٣) تهذيب الكمال: ٤/ ٦.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٣٣.

الفصل السادس

الصلاة والدعاء عند القبور

١ ـ رأي الوهابية

٢ ـ مناقشة الفكرة

٣ ـ سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام

٤ ـ سيرة المسلمين

٥ ـ تصريحات مخالفة لرأي الوهابية

٦ ـ استقبال القبلة أم القبر الشريف

٧ ـ شرح حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد

٨ ـ فتوى الفقهاء حول الصلاة في المقبرة

الصلاة والدعاء عند قبر النبي وسائر القبور

منعت الوهابية الصلاة والدعاء عند القبور وجعلتها شركاً وكفراً.

قال ابن تيمية: إنّ الصحابة كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ يسلّمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله كما في سائر البقاع... ولهذا لم يذكر أحد من أئمّة السلف أن الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبة ولا أن الصلاة والدعاء هناك أفضل منهما في غيرهما، بل اتفقوا كلّهم على أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين، سُميّت مشاهد أم لم تُسمّ[1].

والجواب:

أولاً: يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبي ﷺ وقبور سائر الأنبياء والصالحين، عموم ما دلّ على جواز الصلاة والدعاء في كل مكان، فالعمومات والاطلاقات تدل على الجواز.

ثانياً: ويدل على رجحان الصلاة والدعاء عند القبور، ما فهم من الشرع من رجحان الصلاة والدعاء ومطلق العبادة في كل مكان ثبت شرفه في الشرع، ولا شك في تشرّف المكان بالمكين (شرف المكان بالمكين) والموجب لتشرّف القبر هو حلول جسده الطاهر فيه.

(١) رسالة زيارة القبور: ١٥٩.

ثالثاً: ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾[١].

فإنّ كلمة: «جاؤوك» شامل لحالتي الحياة والموت، وإن حرمته ﷺ حيّاً كحرمته ميّتاً، كما صرّح بذلك الإمام مالك للمنصور فيما مضى من البحث.

يقول شمس الدين الجزري: «إن لم يُجب الدعاء عند النبي ﷺ ففي أي موضع يستجاب!!؟»

رابعاً: سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام: إنّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة في كل يوم جمعة فتصلّي وتبكي عنده[٢].

قال الحاكم: هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات وقد استقصيت في الحث عن زيارة القبور تحرياً للمشاركة في الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه إنها سنّة مسنونة.

والملاحظ: إن حمزة استشهد في العام الثالث للهجرة، وتوفي النبي ﷺ في العام العاشر. ففاطمة كانت في هذه الفترة يعني مدّة سبع سنوات كل يوم جمعة تغادر المدينة متوجهة إلى أُحد تزور قبر حمزة، بمرأى ومنظر من رسول الله ﷺ ولم يرد منه نهي لها.

ثم أنها عاشت بعد أبيها على قول السنة[٣] ستّة أشهر، فكذلك كانت تزور القبر ـ حمزة ـ بمرأى ومنظر من كل الصحابة ومن علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يرد منهم نهي في شأنها.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٢) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٤، الحاكم: ١/ ٣٧٧، السنن الكبرى: ٤/ ١٣١، تمهيد شرح موطأ مالك لابن عبد البر: ٣/ ٢٣٤.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٢٧.

وفي رواية: كانت تزور قبور الشهداء بأُحد بين اليومين والثلاثة، فتصلّي هناك وتدعو وتبكي[١].

تُرى هل خفيت السنّة على فاطمة الزهراء عليها السلام، التي يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها[٢]، فجاءت بزيارتها القبور لما يخالف هذه السنّة!!

ولم يخف الأمر على ابن تيمية ليتجرّأ فيدّعي أنّه: لم يذكر أحدٌ من أئمة السلف أنّ الصلاة عند القبور وفي مشاهدها مستحبّة[٣]؟؟

خامساً: سيرة المسلمين: كما أن سيرة المسلمين من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا جارية على الدعاء والصلاة عند قبور الصالحين والمؤمنين[٤].

١ ـ عمر بن الخطاب: قال الطبري: لما خرج عمر حاجّاً في نفرٍ من أصحابه، فاستغاث به شيخ، فلما انصرف عمر ونزل ذلك المنزل ـ بالأبواء ـ واستخبر عن الشيخ، وعرف موته، قال: كأني أنظر إلى عمر، وقد وثبَ مباعداً ما بين خطاه حتى وقف على القبر ـ قبر الشيخ ـ فصلّى عليه، ثم اعتنقه وبكى[٥].

٢ ـ الإمام الشافعي: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في

(١) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٣٢، كشف الارتياب: ٢/ ٤٨١.
(٢) فتح الباري: ٧/ ١٣١.
(٣) زيارة القبور: ١٥٩.
(٤) يرى ابن الجزري أن استجابة الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين تثبت بالتجربة، أوقرّهُ الشوكاني في تحفة الذاكرين ص٤٦ ولكن قيده بشروط: انظر سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٠٧ «الهامش».
(٥) الرياض النضرة: ٢/ ٣٣٠. وقد بني عن أوائل القرن الثاني على قبر حمزة مسجد، وكان إلى هذا المسجد عامراً إلى أن هدمه الوهابيون. وفاء الوفاء: ٣/ ٩٢٢ ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ البقرة: ١١٤.

كل يوم فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد حتى تقضى[١].

٣ ـ قبر معروف الكرخي: عن الزهري قبر معروف الكرخي مجرّب لقضاء الحوائج، ويقال إنّه من قرأ عنده مائة مرّة قل هو الله أحد وسأل الله ما يريد قضى الله حاجته[٢].

وقال إبراهيم الحربي: قبر معروف: الترياق المجرّب، قال الذهبي: يريد إجابة دعاء المضطر عنده، لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء[٣].

وعن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً التابعي الجليل عن معروف الكرخي؟ فقال: هيهات. . . فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع، فإنّه يستجاب له إن شاء الله[٤].

وعن ابن سعد: يستسقي بقبره، وقبره طاهر يزار ليلاً ونهاراً[٥].

وعن سبط بن الجوزي: أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون أنّ عون الدين قال: كان سبب ولايتي المخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت أياماً فأشار عليّ بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي، فأسالُ الله تعالى عنده، فإن الدعاء عنده مستجاب[٦]. قال: فأتيت قبر

---

(١) صلح الإخوان: ٨٣ (للخالدي) الغدير: ٥/ ١٩٢، تاريخ بغداد: ١/ ١٢٣، مفتاح السعادة: ٢/ ١٩٣ طاش كبرى زاده.

(٢) معجم الطبراني: ١/ ١٢٢، الغدير: ٥/ ١٩٣، تاريخ بغداد: ١/ ١٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٤٣.

(٤) صفة الصفوة: ٢/ ٣٢٤، الغدير: ٥/ ١٩٣.

(٥) الطبقات الكبرى: ١/ ٢٧، وفيات الأعيان: ٥/ ٢٣٢.

(٦) أقول: إن صحّ ذلك فلعلّه بسبب ميله إلى أهل البيت وخدمته للرضا عليه السلام كما حكى عن أبي عبد الرحمن السلمي: إن معروف الكرخي كان يحجب علي بن موسى الرضا عليه السلام.

معروف، فصلّيت عنده ودعوت ثم خرجت لأقصد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفتا[١] ـ قال: فرأيت مسجداً مهجوراً فدخلت لأصلّي ركعتين، وإذا بمريض ملقى على بارية، فقعدت عند رأسه وقلت: ما تشتهي؟ فقال: سفرجلة، قال: فخرجت إلى بقال هناك فرهنتُ عنده مئزري على سفرجلتين وتفاحة وأتيتهُ بذلك، فأكل من السفرجلة، ثم قال: أغلق باب المسجد، فأغلقته، فتنحى عن البارية وقال: احفر هٰهنا، فحفرت وإذا بكوز، فقال: خذ هذا فأنت أحق به، فقلت: أما لك وارث؟ فقال: لا، وإنّما كان لي أخ وعهدي به بعيد وبلغني أنّه مات ونحن من الرصافة... وبينا هو يحدّثني إذ قضى نحبه فغسلته وكفنتهُ ودفنته... ثم صعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ثم تدرّجت الوزارة[٢].

٤ ـ قبر الشافعي: قال الجزري: والدعاء عند قبره مستجاب[٣].

٥ ـ قبر بكار البكراوي الحنفي، ت٢٧٠هـ.

دفن بالقرافة وقبره مشهور يزار ويتبرّك به ويقال: إنّ الدعاء عند قبره مستجاب[٤].

وعن السيد الخوئي: عن الشهرزوري في مناقب الأبرار: إن معروف الكرخي كان من موالي علي بن موسى الرضا(ع)، وكان أبواه نصرانيين فسلّما معروفاً إلى المعلم وهو صبي وكان المعلّم يقول له قل: ثالث ثلاثة وهو يقول: بل هو الواحد فضربه المعلّم ضرباً مبرحاً، فهرب ومضى إلى الرضا(ع) وأسلم على يده ثم أنّه أتى داره فدقّ الباب فقال أبوه: من بالباب فقال: معروف، فقال على أي دين؟ قال: على ديني الحنيفي، فأسلم أبوه ببركات الرضا(ع) قال معروف: فعشتُ زماناً ثم تركتُ كلّ ما كنتُ فيه إلاّ خدمة مولاي علي بن موسى الرضا. (معجم رجال الحديث: ١٨/ ٢٣١) وعن ابن خلكان وغيره نظيره. ولكن النمازي تنظّر فيه مستدركات علم الرجال: ٧/ ٤٥٤ وكذلك الذهبي: ٩/ ٣٤٣.

(١) محلة كبيرة ذات الأسواق بالجانب الغربي من بغداد، معجم البلدان: ٤/ ٣٧٤.
(٢) وفيات الأعيان: ٦/ ٢٣٩.
(٣) طبقات القراء: ٢/ ٩٧.
(٤) الجواهر المضيئة: ١/ ٤٦١.

٦ ـ الحافظ العامري، ت٤٠٣هـ: عكف الناس على قبره ليالي يقرؤون القرآن ويدعون له[١].

٧ ـ أبو بكر الأصبهاني، ت٤٠٦هـ: دفن بالحيرة من نيسابور ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده[٢].

٨ ـ قبر السيدة نفيسة: هي ابنة أبي محمد الحسن بن زيد، وعن ابن خلكان: دفنت بدرب السباع وقبرها معروف بإجابة الدعاء وهو مجرّب رضي الله عنها[٣].

٩ ـ قبر نصر بن إبراهيم المقدسي ت٤٩٠هـ شيخ الشافعية: قال النووي: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب[٤].

١٠ ـ قبر أبي الحسن المصري فقيه الشافعية ت٤٩٢: قال ابن الأنماطي: قبره بالقرافة يُعرف بإجابة الدعاء عنده[٥].

---

(١) الغدير: ٥/ ٢٠٢، البداية والنهاية: ١١/ ٤٠٤.
(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٢٧٢.
(٣) وفيات الأعيان: ٥/ ٤٢٤.
أقول: «هي ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق(ع)، وقيل: بل دخلت مع أبيها الحسن، وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور... وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيّات، ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى الآن باقٍ كما كان، ولمّا توفي الشافعي، ادخلت جنازته إليها وصلّت عليه في دارها، وكانت مقيمة في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين. ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف فيها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد... وقبرها معروف بإجابة الدعاء... وفيات الأعيان: ٥/ ٤٢٤. وقال الذهبي: قيل كانت من الصالحات العوابد والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين... سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٠٧.
(٤) شذرات الذهب: ٥/ ٣٩٧ حوادث سنة ٤٨٨هـ.
(٥) شذرات الذهب: ٥/ ٤٠٢ حوادث سنة ٤٩٠هـ.

١١ ـ قبر القاسم بن فيره الشاطبي ت٥٩٠هـ: دفن بالقرافة وقبره مشهور معروف. قال صاحب طبقات القراء: وقد زرته مرات وعرض عليّ بعض أصحابي الشاطبية عند قبره، ورأيتُ بركة الدعاء عند قبره بالإجابة[١].

١٢ ـ قبر ابن الجوزي ت٥٩٧: قال الذهبي: وباتوا عند قبره طول شهر رمضان، يختمون الختمات بالشمع والقناديل[٢].

تصريحات مخالفة لراي الوهابية:

١ ـ السيوطي في قصة المعراج: روي عن النبي ﷺ: ركبت ومعي جبرئيل، فسرت، فقال: انزل، فصلْ، ففعلت فقال: أتدري أين صلّيت؟ صلّيت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال: إنزل فصلْ، ففعلتُ، فقال: أتدري أين صلّيت؟ صلّيت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى.

ثم قال: انزل فصلْ، ففعلت، فقال: أتدري أين صلّيت؟ صلّيت ببيت لحم حيثُ وُلِدَ عيسى[٣].

فلو كان محل ولادة عيسى هذا شأنه، وإن النبي محمد ﷺ ينزل فيصلي فيه، فمحل ولادة خاتم الأنبياء محمّد ﷺ ومحل دفنه أعلى شأناً وأولى بأن يُصلّى فيه.

٢ ـ قال ابن القيم الجوزية ـ تلميذ ابن تيمية ـ: إن عاقبة صبر هاجر وابنها على البُعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه من جَعْلِ آثارهما وموطىء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة[٤].

(١) طبقات القراء: ٢/٣٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢: ٣٨٠.
(٣) الخصائص الكبرى للسيوطي، كشف الارتياب: ٢٧.
(٤) كشف الارتياب: ٤٢٨، عن زاد المعاد.

أُنظر إلى كلام إبن القيم؛ فإنه يرى موطىء قدم هاجر وإسماعيل محل العبادة والصلاة والمناسك إلى يوم القيامة. فلِمَ لا يجوز أن يكون محل ولادة النبي ودفنه وموطىء قدمه متعبّداً للمؤمنين إلى يوم القيامة؟

٣ ـ ابن الجزري: «إن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين»[١].

استقبال القبلة أم القبر الشريف حين الدعاء

نسب ابن تيمية إلى الصحابة أنهم لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة...[٢].

والجواب:

أولاً: إنّ ابن تيمية لم يذكر اسم صحابي واحد كان قد انحرف عن القبر إلى القبلة في الدعاء ولو مرّة واحدة، بل برغم أنه قد نسب ذلك إلى كل الصحابة! مع أنه قد ورد عن ابن عمر ـ وهو من الصحابة ـ خلاف ذلك وإن من السنة أن يستقبل القبر المكرّم ويجعل ظهره للقبلة[٣].

ثانياً: لا مانع من استقبال القبر عند الدعاء، وذلك للآية الكريمة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٤].

ثالثاً: فتوى الفقهاء على خلاف ذلك:

أ ـ فتوى مالك: حينما سأله المنصور: استقبل القبلة وأدعو أم

(١) أورده المعلق في هامش المواهب اللّدنية ٣/ ٤٠٦ عن كتاب الحصن الحصين.
(٢) رسالة زيارة القبور: ١٥٩.
(٣) كشف الارتياب ٢٤٧ و٣٤٠ والغدير: ٥/ ١٣٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى...»[١].

وفي هذا السؤال دلالة واضحة على أن الدعاء عند القبر الشريف كان مشهوراً - ومرتكزاً - لا يشك في جوازه ورجحانه وإنما الذي توقف فيه المنصور، هو أن استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر الشريف[٢].

ب - الخفاجي: «استقبال وجهه ﷺ واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور. ونقل عن أبي حنيفة»[٣].

ج - ابن الهمام محقق الحنفية: ما نقل عن أبي حنيفة أنّه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: من السنة أن تأتي قبر رسول الله من قِبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر... وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة... وقول الكرماني: إن مذهبه بخلافه ليس بشيء لأنه حي في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته إنّما يتوجه إليه[٤].

د - إبراهيم الحربي في مناسكه: تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطهُ - يعني القبر[٥] -.

هـ - وعن أبي موسى الأصبهاني: أنه روي عن مالك أنه قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي ﷺ فيستدبر القبلة ويستقبل النبي ﷺ ويصلي عليه ويدعو.

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/١٣٧٦، المواهب اللدنية: ٣/٤٠٩.
(٢) الغدير: ٥/١٣٥، انظر كشف الارتياب ٢٤٧ - ٣٤٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/٩٢.
(٣) شرح الشفا: ٣/٥١٧.
(٤) شرح الشفا ٣/٥١٧.
(٥) كشف الارتياب: ٣٢٦، وفاء الوفاء: ٤/١٣٧٨.

و ـ وقال السمهودي، وعن أصحاب الشافعي وغيره: يقف وظهره إلى القبلة ووجهه إلى الحَظيرة، وهو قول ابن حنبل[(١)].

ز ـ السختياني: عن أبي حنيفة قال: جاء أيوب السختياني فدنا من قبر النبي ﷺ فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه إلى القبر وبكى بكاءً غير متباك[(٢)].

ح ـ ابن جماعة: ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدّس مستدبراً القبلة فيسلّم. وشذ الكرماني فقال: يقف للسلام مستدبر القبر[(٣)].

ط ـ ابن المنكدر: قال إبراهيم بن سعد رأيت ابن المنكدر يصلي في مقدم المسجد فإذا انصرف مشى قليلاً ثم استقبل القبلة ومدّ يديه ودعا ثم ينحرف عن القبلة ويشهّر يديه ويدعو، يفعل ذلك حين يخرج فعل المودع[(٤)].

ثالثاً: ما المانع من الصلاة بقرب القبر تبرّكاً بالمكان المدفون فيه النبي ﷺ كما يصلون عند المقام الذي هو حَجَر ولكن تشرف بملامسة رِجْلِ إبراهيم، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[(٥)].

وأما كلام ابن تيمية: إنّ الصلاة في البيت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين[(٦)].

هذه دعوى مجرّدة عن الدليل، وهل صرّح بذلك أحد من أئمة السلف، فضلاً عن نسبة ذلك إلى جميعهم.!!

---

(١) وفاء الوفاء: ٤/١٣٧٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) كشف الارتياب ٣٢٦، وفاء الوفاء: ٤/١٣٧٨.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٥/٣٥٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٦) وفاء الوفاء: ٤/١٣٧٨.

معنى حديث النهي عن إتخاذ القبور مساجد:

أما حديث لعن الله اليهود واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وحديث: اللهم لا تجعل قبري وثناً[١] يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

ففيه: **أولاً**: نقاش سندي، إذ على رواية النسائي: ـ في طريقه عبد الوارث وقد رموه بأنّه كان يرى القدر ـ أي الاعتزال ـ وكانوا لا يصلّون خلفه، وكان حماد ينهى عن عبد الوارث[٢].

وفيه أيضاً أبو صالح، وهو مردد بين مجاهيل وضعاف وثقات والمحتمل أنه: باذام مولى أُم هاني، وهو متروك الحديث، أو ضعيف أو كذّاب[٣].

وأما رواية ابن ماجة: ففيه عبد الله[٤] بن عثمان، وقالوا فيه: إنّه ليس بالقوي، أو يخطىء، أو منكر الحديث.

وأما رواية الموطأ: فهي مرسلة كما صرح بذلك ابن عبد البر لأن عطاء بن يسار لم يدرك النبيّ[٥].

ثانياً: لا يدل الحديث على ما زعمه ابن تيمية والوهابيون من عدم جواز الصلاة عند القبور وفي مشاهدها وبناء المساجد عليها. وذلك لأن الظاهر منه: إنّه إشارة إلى رواية كنيسة الحبشة؛ إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور...

---

(١) أحمد: ٢/٢٤٦، الموطأ: ١/١٧٢ ح٨٥. البخاري: ٤٨ (الصلاة) مسلم ١٩، المساجد. أحمد: ١/٢١٨.
(٢) ميزان الاعتدال: ٢/٦٧٧.
(٣) ميزان الاعتدال: ٤/٥٣٨.
(٤) ميزان الاعتدال: ٢/٤٥٩، الكامل في الضعفاء: ٤/١٦١.
(٥) الموطأ: ١/١٧٢، سير أعلام النبلاء: ٤/٤٤٨.

وسبب الذم هو اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد بتلك الحالة وهي تصويرهم الصورة وعبادتها والصلاة والسجود إليها أو إليها وإلى القبر. كما يصلي إلى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية. فالنهي عن اتخاذها مساجد هو فيما لو كان من هذا السنخ، وأما لو بني المسجد على القبر، ولكنّه صلّى إلى القبلة ومتوجهاً إلى الله تعالى، فلا إشكال فيه، كما يصلي اليوم في المسجد النبوي الشريف، أو الجامع الأموي بدمشق وفيه قبر النبي زكريا عليه السلام.

١ ـ قال القرطبي: إنّما صور أوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكّروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلّفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان: أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذّر النبي عن مثل ذلك[١].

٢ ـ قال النووي: إن كان البناء في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة، فحرام، نصّ عليه الشافعي والأصحاب... تجصيص القبر مكروه[٢].

٣ ـ قال القسطلاني قوله: «بنوا على قبره مسجداً» مؤوّل على مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحريم لا سيما وقد ثبت اللعن عليه، لكن صرّح الشافع وأصحابه بالكراهة[٣].

٤ ـ وقال البندينجي المراد: أن يسوي القبر مسجداً فيصلّي فيه،

---

(١) إرشاد الساري: ٣/ ٤٩٧ و٢/ ٩٩، أنظر صحيح مسلم: ١/ ١٩٧ (الهامش).

(٢) شرح صحيح مسلم: ٣/ ٦٢.

قال ابن رفعة: وتستثنى مقبرة الأنبياء فلا كراهة فيها لأن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأنّهم أحياء في قبورهم يصلّون... وقال: يحرم أن يصلّى متوجّهاً إلى قبره عليه الصلاة والسلام ويكره إلى غيره مستقبل الآدمي لأنه يشغل القلب غالباً ويقاس بما ذكر في قبره سائر قبور الأنبياء... إرشاد الساري: ٢/ ٩٧.

(٣) انظر ارشاد الساري: ٩/ ٤٧٧ و٧/ ٤٦٢.

وقال: إنّه يكره أن يبنى عنده مسجد فيصلّى فيه إلى القبر. وأما المقبرة الدائرة إذا بني فيها مسجد ليصلّى فيه فلم أر فيه بأساً لأن المقابر وقف وكذا المسجد فمعناهما واحد.

٥ ـ قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجّهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، لعنهم النبي ﷺ ومنع المسلمين من مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه، لا للتعظيم ولا للتوّجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور(١).

٦ ـ وقال السندي: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. أي قبلة للصلاة يصلّون إليها أو بنوا مساجد عليها يصلّون فيها، ولعلّ وجه الكراهة أنّه قد يفضي إلى عبادة نفس القبر، سيما في الأنبياء والأحبار...(٢).

٧ ـ النووي: قال العلماء إنّما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. ولمّا احتاجت الصحابة والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أُمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلّي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ولهذا قال في الحديث ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً...(٣).

---

(١) إرشاد الساري: ٣/ ٤٧٩.
(٢) سنن النسائي: ٤/ ٩٦.
(٣) شرح النووي: ٥/ ١٤.

فتوى الفقهاء، حول الصلاة في المقبرة:

١ ـ رأي مالك: قلت لابن القاسم هل كان مالك يوسع أن يصلّي الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له؟ قال: كان مالك لا يرى بأساً بالصلاة في المقابر وهو إذا صلّى في المقبرة كانت القبور بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله. وقال مالك لا بأس بالصلاة في المقابر. قال: وبلغني أن بعض أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلّون في المقبرة[١].

٢ ـ عبد الغني النابلسي: وأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح أو صلّى في قبره، وقصد به الاستظهار بوجه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجّه إليه فلا حرج إذ مرقد إسماعيل عند الحطيم من المسجد الحرام، ثم أن ذلك الموضع أفضل مكان يصلّى فيه[٢].

٣ ـ وقال أيضاً: وإما إذا كان موضع القبور مسجداً أو على طريق، أو كان هناك أحدٌ جالس. أو أن قبر وليّ من أولياء الله أو عالم من المحقّقين، تعظيماً لروحه المشرقة على تراب جسده كاشراق الشمس على الأرض، اعلاماً للناس أنّه وليّ، ليتبرّكوا به ويدعوا الله عنده، فيستجاب لهم، فهو أمر جائز لا مانع منه، والأعمال بالنيّات[٣].

٤ ـ الأبي المالكي ـ كما عن الكوثري ـ من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح أو صلى في مقبرته قصداً للتبرّك بآثاره وإجابة دعاه هناك فلا حرج في ذلك، واحتج لذلك بأن قبر إسماعيل عليه السلام في المسجد الحرام عند الحطيم ثم أن ذلك الموضع أفضل مكان للصلاة فيه[٤].

---

(١) المدوّنة الكبرى: ١/ ٩٠.
(٢) الحديقة الندية: ٢/ ٦٣١.
(٣) الحديقة الندية: ٢/ ٦٣٠.
(٤) المقالات للكوثري: ٢٤٦، شرح صحيح مسلم: ٢/ ٢٣٤.

٥ ـ البغوي: منهم من ذهب إلى أن الصلاة فيها جائزة إذا صلّى في موضع نظيف منه.

وروي أن عمر رأى أنس بن مالك يصلّي عند قبر، فقال: القبر القبر. ولم يأمره بالإعادة، وحكى عن الحسن أنّه صلّى في المقابر. وعن مالك: لا بأس بالصلاة في المقابر.

وتأويل الحديث، هو أن الغالب من أمر الحمّام قذارة المكان ومن أمر المقابر اختلاط تربتها بصديد الموتى ولحومها. فالنهي لنجاسة المكان، فإن كان المكان طاهراً فلا بأس[١].

هل يبقى مجال للوهابيين بعد هذه الفتاوى والآراء الصريحة أن يتّهموا من يصلّي في المشاهد والمقابر، بالشرك والكفر، وإنه يريد عبادة صاحب القبر؟! وقد صلّى أنس بن مالك والحسن البصري بين المقابر!!

---

(١) شرح السنة، للبغوي: ٢/٣٩٨.

الفصل السابع

بناء القبور وعقد القباب

١ ـ رأي الوهابية

٢ ـ مناقشة الفكرة

٣ ـ مناقشة طرق الحديث

٤ ـ سيرة الصحابة وعموم المسلمين

٥ ـ نماذج من القبور المبنية والقباب

٦ ـ مناقشة طرق حديث ابن الزبير

٧ ـ مناقشة دلالة الحديث

بناء القبور البناء عليها وتجصيصها وعقد القباب فوقها

هذا ما حرّمه الوهابيون واعتبروا ذلك شركاً وكفراً، وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها، والبناء الذي حولها، وفيما يلي أقوالهم:

١ ـ قال الصنعانيّ: إن المشهد بمنزلة الوثن والصنم، إنّ ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثناً وصنماً هو الذي يفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، وذلك لا يخرجه عن اسم الوثن والصنم[١].

٢ ـ وعن ابن القيم (تلميذ ابن تيمية): يجب هدم المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوماً واحداً فإنّها بمنزلة اللات والعزى، أو أعظم شركاً عندها، وبها[٢]...

٣ ـ وصرّح الوهابيون في كتابهم إلى شيخ الركب المغربي: إن ما حدث من تعظيم قبور الأنبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الأُمور التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: لا تقوم الساعة حتى يلحق حيّ من أُمتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أُمّتي الأوثان[٣].

٤ ـ وقال قاضي قضاتهم عبد الله بن سليمان بن بليهد في جريدة أُمّ القرى ١٣٤٥هـ.ق: لم نسمع في خير القرون، إن هذه البدعة حدثت فيها، بل بعد القرون الخمسة[٤].

---

(١) كشف الارتياب: ٢٨٦ عن تطهير الاعتقاد.

(٢) زاد المعاد: ٦٦١.

(٣) انظر كشف الارتياب: ٢٨٧.

(٤) انظر كشف الارتياب: ٢٨٧.

٥ ـ وفي الجواب المنسوب لعلماء المدينة: أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحّة الأحاديث الواردة في منعه، ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثكَ على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً ألاّ سوّيته.

مناقشة الفكرة:

والجواب:

أما الاجماع: فممنوع بل هذا العمل جائز إجماعاً لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب الإسلامية في كل عصر وزمان: عالمهم وجاهلهم، مفضولهم وفاضلهم أميرهم ومأمورهم رجالهم ونساؤهم، قبل الوهابية. والسيرة إجماع عملي لأنها كاشف قطعي عن أنه مأخوذ من صاحب الشرع.

ويؤيده اعتراف الصنعاني نفسه بهذه السيرة ـ في رسالته تطهير الاعتقاد ـ حيث أورد على نفسه سؤالاً: بأن هذا الأمر عمَّ البلاد وطبّق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد العالم الإسلامي إلاّ وفيها قبور ومشاهد، بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع الدنيا.

فأجاب: إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه العوالم جيلاً بعد جيل.

فاعلم أن هذه الأُمور صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير بل ترى من يتسم بالعلم ويدّعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة

أو الامارة والحكومة، معظماً لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه، ولا يخفى أن سكوت العالم أو العالِم على وقوع المنكر ليس دليلاً على جوازه. . .

وقفة مع الصنعاني:

أولاً: في هذا النص اعتراف من الصنعاني بوقوع السيرة على أكمل وجوهها واعترف بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوالم والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين، والأولياء والعارفين الأمراء والحكّام بدون إنكار، ولم تخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات، فأي سيرة أقوى من هذه وأشمل.

ثانياً: قوله: إن الحق ما قام عليه الدليل، فنقول: إن اتفاق الأُمة جيلاً بعد جيل دليل قطعي، لا دليل أقوى منه.

أما الاستدلال بصحّة الحديث:

ففيه:

أولاً: صحّة الحديث في نظرهم ووضوح دلالته عندهم وخلوّه عن المعارض لا يوجب، صحته ووضوحه في نظر غيرهم، فكيف يدعي الاجماع اعتماداً على دعوى صحة الحديث.

ثانياً: التناقض والتهافت في كلامه: إذ تارة يقول: أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه وتارة يقول: الحديث الدال على التحريم مجمع على صحته. فلو كان مجمعاً على صحته، فلماذا لم يفت جميعهم بوجوب الهدم بل أفتى الكثير ـ على حسب دعواهم ـ.

ثالثاً: النقاش في سند الحديث ودلالته:

حدّثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب،

قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخران: حدّثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي وائل، عن أبي الهيّاج الأسدي، قال: قال لي علي عليه السلام: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ لا تدَع تمثالاً إلاّ طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سوّيته[١].

أما النقاش السندي؛ ففيه من ضعّفه علماء الرجال وأرباب هذا الفن.

أما وكيع: وهو ابن الجراح الرواسي.

١ ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ابن مهدي أكثر تصحيفاً من وكيع: ووكيع أكثر خطأ من ابن مهدي.

٢ ـ وقال عبد الله بن أحمد في موضع آخر: سمعت أبي يقول: أخطأ وكيع في خمسمئة حديث[٢].

٣ ـ وقال ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بألفاظه لكانت عجباً، كان يقول: حدّثنا الشعبي، عن عائشة[٣].

٤ ـ وقال محمد بن نصر المروزي: كان يحدّث بآخره من حفظه فيغيّر[٤] ألفاظ الحديث كأنه يحدّث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان[٥].

وأما سفيان:

---

(١) صحيح مسلم: ٣/ ٦١، الترمذي: ٢/ ٢٥٦.
(٢) تهذيب الكمال: ٣٠/ ٤٧١.
(٣) ميزان الاعتدال: ٤/ ٣٣٦.
(٤) عن نعيم بن حماد: تعشينا عند وكيع، فقال: أي شيء أجيئكم به، نبيذ الشيوخ أو الفتيان؟ قلت: تتكلم بهذا؟ قال: هو عندي أحل من ماء الفرات. تاريخ بغداد: ١٣/ ٧٢.
وعن أحمد: كان يسب السلف ويشرب المسكر، والفتوى بالباطل.
(٥) تهذيب التهذيب: ١١/ ١٢٥.

١ ـ قال الذهبي كان يدلس عن الضعفاء[١].

٢ ـ وعن ابن المبارك، قال: حدث سفيان بحديث، فجئتُهُ وهو يدلسه، فلما رآني استحيى، وقال: نرويه عنك[٢].

٣ ـ وعن أبي بكر، قال: سمعتُ يحيى يقول: جَهد الثوري أن يدلسَ عليّ رجلاً ضعيفاً فما أمكنه[٣].

٤ ـ وعن يحيى بن معين: لم يكن أحد أعلم بحديث أبي إسحاق من الثوري وكان يدلس[٤].

وأما حبيب بن أبي ثابت:

١ ـ قال ابن حبان: كان مدلساً[٥].

٢ ـ وقال العقيلي: وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها[٦].

٣ ـ وقال العقيلي أيضاً: غَمَزهُ ابن عون[٧].

٤ ـ وقال القطان: له غير حديث عن عطا، لا يتابع عليه وليست بمحفوظة.

٥ ـ وقال ابن خزيمة: كان مدلساً[٨].

وأما أبو وائل: فهو من مبغضي علي عليه السلام فكيف يعتمد عليه،

---

(١) ميزان الاعتدال: ٢/ ١٦٩.
(٢) تهذيب التهذيب: ١١/ ٢١٨.
(٣) تهذيب التهذيب: ٣/ ١٧٩.
(٤) الجرح والتعديل: ٤/ ٢٢٥.
(٥) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٧٩، تقريب التهذيب: ١/ ٣١٦.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) ميزان الاعتدال: ١/ ٤٥١.
(٨) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٧٩، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٩، كان عثمانياً يقع في علي عليه السلام.

وقد قال النبي ﷺ يا علي لا يحبك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق[١].

المناقشة في المتن والدلالة:

أولاً: إنّه شاذ، انفرد به أبو الهيّاج، وقال السيوطي في شرح النسائي: ليس لأبي الهيّاج في الكتب إلاّ هذا الحديث الواحد.

ثانياً: لا دلالة على المدّعى بل هو وارد في الأمر بالتسطيح والنهي عن التسنيم، فإن الشرف، وإن كان معناه: العالي إلاّ أن التسنيم نوع من العلو.

«الشرف» يعني العلو، ومن البعير سنامه ـ كما في القاموس[٢] ـ إذن: الشرف يشمل باطلاقه، أو بوصفه، العالي سواء أكان علوه بالتسنيم وبغيره.

ولكن قوله: «إلاّ سوّيته» قرينة على إرادة التسنيم من الشرف والتسطيح من التسوية.

وبعبارة أُخرى في الرواية احتمالات ثلاث:

١ ـ أن يكون المراد هدم البناء المشيّد على القبر.

٢ ـ أن يكون المراد تسوية القبر مع الأرض.

٣ ـ أن يكون المراد تسطيح القبر وتعديل ما فيه من اعوجاج والحيلولة دون تسنيمه كظهر السمك وسنام البعير.

أما الاحتمال الأوّل فمردود لوجود السيرة وعمل الصحابة وغيرهم على خلافه، وسيجيء البحث عنه.

---

(١) مجمع الزوائد: ٩/ ١٣٣.
(٢) القاموس: ٣/ ١٦٢.

وأما الاحتمال الثاني فمردود أيضاً، وذلك لقيام السنة القطعية على ارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

فيبقى الاحتمال الثالث: وهو تسطيح القبر وتعديل ما فيه من اعوجاج والحيلولة دون تسنيمه، كظهر السمك وسنام البعير. وهذا ما يراه جمع من علماء السنّة كالنووي والقسطلاني.

أ ـ قال النووي: إن السنّة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يُسَنم بل يرفع نحو شبر ويسطح[١].

ب ـ وقال القسطلاني: بعد أن قال: السنّة في القبر تسطيحه وأنه لا يجوز ترك هذه السنّة لمجرّد أنها صارت شعاراً للروافض، وأنه لا منافاة بين التسطيح وحديث أبي هيّاج، يقول: لأنّه لم يُرد تسويته بالأرض وإنّما أراد تسطيحه جمعاً بين الأخبار[٢].

ثالثاً: سيرة الصحابة وعموم المسلمين:

١ ـ إن قبور الأنبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام في القدس وقبور إبراهيم وبنيه: إسحاق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس في بلد الخليل كلها مبنية مشيّدة، قد بني عليها بالحجارة العادية العظيمة قبل الإسلام وبقيت بعد فتح الإسلام[٣].

وقد صرّح بذلك ابن تيمية، فقال: إن البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة إلاّ أنّه كان باب ذلك البناء مسدوداً إلى سنة الأربعمائة.

---

(١) المجموع: ٤/٣١٢.

(٢) إرشاد الساري: ٢/٤٦٨.

(٣) هذا ما أشار إليه السيّد الأمين في كشف الارتياب ٤٨٤، وبه رواية ـ إن صحّت ـ فهي تدل على ذلك. انظر درر الأخبار: ٢/١٨٥ للشيخ الوالد، معالم الزلفى: ١٠٨. لكن هناك أحاديث مفادها: إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء، راجع مسند أحمد: ٤/٨.

ولا شك أن عمر لمّا فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء، ومع ذلك لم يأمر بهدمه.

دعوى ابن بليهد:

لقد ادعى ابن بليهد: أنّ البناء على القبور حدث بعد القرون الخمسة.

هذا ولكن التاريخ على خلاف دعواه تماماً، فإن هناك أبنية على القبور، ومزارات كانت قبل القرن الخامس بل بعضها في القرن الأول والثاني. وإليك أمثلة على ذلك:

١ ـ بناء الحجرة الشريفة.

٢ ـ بناء المسجد على قبر حمزة.

٣ ـ إن قبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ كان في دار محمد بن زيد بن علي عليه السلام.

٤ ـ قبر سعد بن معاذ كان في دار ابن أفلح، وأن عليه حنبذة ـ أي قبّة ـ في زمن عمر بن عبد العزيز الذي هو من المائة الثانية[١].

٥ ـ إن البناء على قبر الزبير كان عام ٣٨٦هـ.

٦ ـ إن البناء على قبر النذور ـ قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي عليه السلام ـ كان في القرن الرابع.

٧ ـ قبر علام خليل الباهلي، ت٢٧٥هـ

الذهبي: مات في ٢٧٥هـ وغلقت الأسواق وخرج الرجال والنساء للصلاة عليه ثمّ حُمِلَ في تابوت إلى البصرة وبنيت عليه قبة[٢].

---

(١) انظر وفاء الوفاء: ٢/٥٤٥، كشف الارتياب: ٤٢٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٨٥.

٨ ـ البناء على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ت٣٧٢هـ: قال الذهبي: السلطان عضد الدولة. كان شيعياً جلداً، أظهر بالنجف قبر الإمام علي عليه السلام وبنى عليه المشهد... وقال أيضاً: مات سنة ٢٧٢هـ ببغداد وحُمِلَ في تابوت ونقل فدفن بمشهد النجف[١].

تجديد بناء القبر على عهد الصحابة والتابعين:

١ ـ قبر النبي صلى الله عليه وآله: فإنّه صلى الله عليه وآله دفن في حجرة مبنية، ولو كان البناء على القبور محرماً، لهدمها الصحابة قبل دفنه صلى الله عليه وآله، إذ لو كان البناء كالأصنام، فلا فرق بين البناء السابق والبناء اللاحق، والبناء والقبة على القبر الشريف لا زال موجوداً إلى يومنا هذا.

٢ ـ لم يكن على بيت النبي حائط، وكان أوّل من بنى عليه جداراً، عمر بن الخطاب[٢].

٣ ـ إن عائشة بَنَتْ حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلّي فيها قبل الحائط وبعده.

كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة بجدار فضربت عليهم وكانت في الجدار كوة، فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فَسُدَّتْ[٣].

٤ ـ ثم بناها عبد الله بن الزبير ثم سقط حائطها.

٥ ـ بناء عمر بن عبد العزيز، وفي رواية أنه هدم البيت الأوّل. ثم بناه وبنى حظاراً محيطاً به وتولّى ذلك عمر بن عبد العزيز وآزر الحجرة بالرخام. فلما أن بنى البيت على القبر وهدم البيت الأوّل، ظهرت القبور الثلاثة[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٥١.
وردت روايات صحيحة بأن أوّل من أظهر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، هو الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(٢) وفاء الوفاء: ٢/٥٤١.

(٣) وفاء الوفاء: ٢/٥٤٤.

(٤) وفاء الوفاء: ٢/٥٤٧.

٦ ـ ثم أُعيد تأزيرها في زمن المتوكل الخليفة العباسي.

٧ ـ جُدِّد في زمن المقتفي، ثم عُمِلَ في زمنه للحجرة مُشبّك من خَشَب الصندل، والابنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز.

٨ ـ ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضيء، أُعيد بناؤه ثم لما احترق الحرم الشريف عام ٦٥٤هـ.ق. شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم العباسي وأكمل تعميره من آلاتٍ وصلت من مصر في عهد الملك المنصور أيبك الصالحي، وأخشاب من صاحب اليمن: الملك المظفر.

٩ ـ ثم أكمل تعميرها في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر فعملت أوّل قبّة على الحجرة الشريفة. وهي القبة الزرقاء التي بناها أحمد بن عبد القوى[١] عام ٦٧٨هـ.ق.

ثانياً: قبور الصحابة وغيرهم.

١ ـ إن عقيلاً لما حفر بئراً في داره وجد حجراً مكتوباً عليه: هذا قبر أُمّ حبيبة[٢]، فدفن البئر وبنى عليه بيتاً.

٢ ـ بنى الرشيد قبة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام في المائة الثانية[٣].

---

(١) راجع كشف الارتياب: ٤٠٠، وفاء الوفاء للسمهودي: ٢/ ٥٧٣.

(٢) فيه تأمل إذا كان المقصود بها زوج النبي(ص) إذ كيف يخفى عليه قبرها، مع أن عقيلاً كان معاصراً لأم حبيبة.

(٣) يقول الشاعر الحسين بن الحجاج سنة ٣٩١هـ:

يا صاحب القبّة البيضا على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكم ... تحظون بالأجر والاقبال والزلف
زوروا لمن تُسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلت فاحرم قبل تدخله ... ملبياً وأسع سعياً حوله وطف

موسوعة العتبات المقدسة: ٦/ ٩٧، الغدير: ٤/ ٩٤، درر الأخبار: ٢/ ٢١٤، للمرحوم آية الله الطبسي.

٣ ـ يقول الخطيب البغدادي: إن الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيز وقبره هناك مشهور يزار، عليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش[١]. وولادة الخطيب عام ٣٩٢هـ وهو من القرن الرابع.

٤ ـ إن الرضا عليه السلام دفن في القبّة التي دفن فيها هارون بطوس ويظهر أن ولده المأمون بني تلك القبّة عام٢٠٠هـ.

٥ ـ قبر أبي تمام الطائي: إنّ نهشل بن حميد الطوسي بنى على قبر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف بالموصل عام ٢٣٠هـ.

٦ ـ قبر بوران: بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل عام ٢٧١هـ.

٧ ـ الذهبي: إن المتوكل عام ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين[٢]، وهدم ما حوله. فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء. وممّا قيل فيه:

تالله إن كانت أُميّة قد أتت	قتل ابن بنتِ نبيّها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمري قبره مهدوماً
اسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتتبعوه رميماً[٣]

اذن هذه العصور كلها سابقة على القرن الخامس الذي يدعيه ابن بليهد، فلو كانت الأبنية على القبور محرّمة وتُعد شركاً لورد النهي،

(١) وفيات الأعيان: ٥/ ٣١٠.
(٢) انظر مآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي: ١/ ١٢٠ حول بناء المشهد المعروف بمشهد الحسين عليه السلام بمصر.
(٣) وذكرها أيضاً الذهبي في تاريخ الإسلام: ١٧/ ١٨، في حوادث سنة ٢٣٦. راجع كشف الارتياب: ٣٠٨، وفاء الوفاء للسمهودي: ٢/ ٨٤.

سيما أن تلك العصور ـ خصوصاً عصر هارون والمأمون ـ كان حافلاً بالعلماء وأئمة الدين ولم ينقل أن أحداً منهم أنكر ذلك، مع أنهم أنكروا على المأمون خلق القرآن ولم يوافقوه، وصبروا على الحبس والضرب. . .

وفيما يلي نماذج أُخرى:

١ ـ قبر سليمان الفارسي، ت٣٦هـ.

قال الخطيب البغدادي: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر في أمر مصالحه[١].

٢ ـ قبر طلحة المقتول يوم الجمل سنة ٣٦هـ.

قال ابن بطوطة: مشهد طلحة بن عبيد الله. . . وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد، وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر.

ثمَّ عدَّ مشاهداً في البصرة لجملة من الصحابة والتابعين فقال:

وعلى كلِّ قبر قبَّةٌ مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته[٢].

٣ ـ الزبير بن العوام: قال ابن الجوزي: بنى عليه الأثير أبو المسك عنبر، بناءً وجعل الموضع مسجداً ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات وأُقيم قوّام وحفظة ووقف عليه وقوفاً[٣].

٤ ـ أبو أيوب الأنصاري: ت٥٢ بالروم:

---

(١) تاريخ بغداد: ١/ ١٦٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١/ ١٨٧.

(٣) المنتظم: ١٤/ ٣٧٧، أقول: إن الزبير وطلحة نكثا بيعة الإمام علي(ع) وأجّجا نار الحرب وخرجا على إمام زمانهما ولقيا مصرعهما في تلك المعركة أو جزاء تلك المعركة.

قال الوليد: حدّثني شيخ من أهل فلسطين: إنه رأى بنية بيضاء دون حائط القسطنطنية، فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي ﷺ، فأتيت تلك البنية فرأيتُ قبره في تلك البنية وعليه قنديل معلّق بسلسلة[١].

وقال ابن كثير: وعلى قبره مزار ومسجد[٢].

٥ ـ مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال الذهبي: له مشهد عظيم مشهور ببغداد ولولده علي بن موسى مشهد عظيم بطوس[٣].

قال ابن الجوزي: في هذه الأيام ـ يعني سنة ٤٥٩ـ بنى أبو سعد المستوفي الملقب شرف الملك، مشهد أبي حنيفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبّة...[٤].

٦ ـ معروف الكرخي، ت٢٠٠هـ.

قال ابن الجوزي: ... بُنيت تربة قبر معروف في ربيع الأول سنة ٤٦٠ وعقد مشهداً زاجاً بالجص والآجر[٥].

٧ ـ محمد بن إدريس الشافعي: ت٢٠٤هـ.

قال الذهبي: إن الملك الكامل عمّر قبّةً على ضريح الشافعي[٦].

٨ ـ قبر أبي عوانة: ت٣١٦هـ

قال الذهبي: بُنيَ على قبر أبي عوانة مشهد بأسفرايين يزار وهو في داخل المدينة.

---

(١) تاريخ بغداد: ١/ ١٥٤.
(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٦٥.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٤.
(٤) المنتظم: ١٦/ ١٠٠.
(٥) المنتظم: ١٦/ ١٠٥.
(٦) دول الإسلام: ٣٤٤.

أقول: بما أن هذا التصريح، وهذا الواقع التاريخي من المسلمين السنة، لا يتلاءم مع مزاعم الوهابية، فقد علّق اكرم البوشي، على هذا النص التاريخي قائلاً: هو من صنيع العامة الذين لا علم عندهم فإن ذلك من البدع المنهي عنها.

الحمد لله إن المعلق لم يوّجه التهمة إلى الشيعة ولم يقل إنه من فعل الإمامية وصنيعهم بل قال من صنيع العامة.

٩ ـ أبو علي الهبيش، ت٤٢٠هـ.

قال ابن الجوزي: قبره ظاهر بالكوفة وقد عمل عليه مشهد...[١].

تتميم: ردّ الاستدلال بحديث أبي الزبير:

وقد استدلّوا برواية أبي الزبير التي رواها مسلم[٢] والترمذي[٣]، وابن ماجة[٤]، والنسائي[٥]، وأبو داود[٦]، وأحمد في مسنده[٧]: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه.

وفيما يلي طرق الحديث:

الطريق الأول: أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا حفص بن غياث، عن ابن جُريج، عن أبي الزبير، عن جابر: نهى رسول الله ﷺ...[٨].

---

(١) المنتظم: ١٥/ ٢٠٢.
(٢) صحيح مسلم: ٣/ ٦٣.
(٣) الترمذي: ٣/ ٢٠٨.
(٤) سنن ابن ماجة: ١/ ٤٧٣.
(٥) سنن النسائي: ٤/ ٨٧.
(٦) سنن أبي داود: ٣/ ٢١٦.
(٧) مسند أحمد: ٣/ ٢٩٥.
(٨) صحيح مسلم: ٣/ ٦٣.

الطريق الثاني: هارون بن عبد الله، حدّثنا حجاج بن محمد، وحدّثني محمد بن رافع، حدّثنا عبد الرزاق جميعاً عن ابن جريج، عن أبي الزبير..[1].

الطريق الثالث: عبد الرحمن بن الأسود، أخبرنا محمد بن ربيعة، عن ابن جريج عن أبي الزبير[2].

الطريق الرابع: حدّثنا أزهر بن مروان ومحمد بن زياد، قال: حدّثنا عبد الوارث عن أيوب، عن أبي الزبير...[3].

الطريق الخامس: أخبرنا يوسف بن سعيد، حدّثنا حجاج عن ابن جريج، عن أبي الزبير[4].

المناقشة في السند:

وفي السند: ابن جريج، وأبو الزبير، وحفص بن غياث ومحمد بن ربيعة، وعبد الرزاق.

أما ابن جريج: وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي.

الآراء حوله:

١ ـ سُئل يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج، فقال: ضعيف. فقيل له: إنّه يقول: أخبرني، قال: لا شيء... كلّه ضعيف.

٢ ـ قال أحمد: إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان وأُخبرتُ، جاء بمناكير.

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الترمذي: ٢/٢٠٨.
(٣) سنن ابن ماجة: ١/٤٧٣.
(٤) سنن النسائي: ٤/٨٧.

٣ ـ قال مالك بن أنس: كان ابن جُريج حاطب ليل[١].

٤ ـ وقال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج، فإنّه قبيح التدليس لا يدلس إلاّ فيما سمعه من مجروح.

٥ ـ وقال ابن حبان: كان يدلس في الحديث.

٦ ـ وقال يحيى بن سعيد، إذا قال ابن جريج «قال»: فهو شبه الريح.

٧ ـ وقال يزيد بن زريع: كان ابن جريج صاحب غثاء.

٨ ـ قال الذهبي: . . . يدلس وهو في نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحواً من سبعين امرأة نكاح المتعة.

٩ ـ قال عبد الله بن أحمد، قال أبي: بعض الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها.

١٠ ـ قال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج، فإنّه قبيح التدليس، لا يدلس إلاّ فيما سمعه من مجروح مثل إبراهيم بن أبي يحيى[٢].

أما الراوي الثاني: أبو الزبير:

اسمه: محمد بن مسلم بن تدرس الآمدي.

وقد ضعفه علماء الرجال. وفيما يلي نماذج من آرائهم:

---

(١) و«حاطب ليل» أي الذي يحطب أو يجمع الحطب في الليل: مَثَلٌ يطلق على من يخبط خبطاً ويخلط بين الخطأ والصحيح بلا بصيرة.

(٢) تهذيب الكمال: ١٨/٣٤٨، تهذيب التهذيب: ٦/٤٠٤، ميزان الاعتدال: ٢/٦٥٩.

١ ـ عن أحمد: كان أيوب يضعفه. . .

٢ ـ قال نعيم بن حماد، سمعت ابن عيينة: كأنه يضعفه.

٣ ـ عن سويد بن عبد العزيز، قال لي شعبة: تأخذ عن أبي الزبير، وهو لا يحسن أن يصلّي؟!

٤ ـ قال نعيم: سمعت هشيماً يقول: سمعت من أبي الزبير، فأخذ شعبة كتابي فمزّقه.

٥ ـ قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي الزبير فقال: يكتب حديثه ولا يحتج به[١].

٦ ـ الترمذي: ذكر شعبة أنّه ضعّف أبا الزبير المكّي[٢].

٧ ـ قال أبو زرعة وأبو حاتم: لا يحتج به.

٨ ـ وعن أبي عيينة: كان أبو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير إذا لم نجد عمرو بن دينار ذهبنا إليه.

٩ ـ ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة عن أبي الزبير فقال: يروي عنه الناس، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: إنّما يحتج بحديث الثقات.

١٠ ـ قال شعبة: لم يكن في الدنيا شيء أحبّ إليّ من رجل يقدم من مكة فأسأله عن أبي الزبير، فقدمت مكة، فسمعت منه، فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل يوماً فسأله عن مسألة، فقلت له: يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم! قال: إنه أغضبني، قلت: من يغضبك يُفترى عليه؟ لا رويتُ عنك حديثاً أبداً[٣].

---

(١) تهذيب الكمال: ٢٦/٤٠٧.

(٢) الجامع الصحيح: ٥/٧٥٦.

(٣) ميزان الاعتدال: ٤/٣٧.

وفي تهذيب التهذيب: فردّ عليه فافترى عليه ـ يعني أبو الزبير[١].

والنتيجة: أن أبا الزبير ضعيف، ولا يحسن الصلاة، ولا يحتج به وأنه يفتري، وأن شعبة مزّق كتابه، فهل يبقى مع هذا مجال للاعتماد عليه؟!!

أما الثالث: حفص بن غياث.

١ ـ قال يعقوب بن شيبة: يُتّقى بعض حفظه[٢].

٢ ـ وقال أبو زرعة: ساء حفظه بعدما استقضي[٣].

٣ ـ وقال داود بن رشيد: حفص كثير الغلط[٤].

٤ ـ عن أحمد: كان حفص يخلط كثيراً[٥].

٥ ـ وعنه: أن حفصاً كان يدلّس[٦].

أما الرابع: محمد بن ربيعة: وهو أبو عبد الله الكوفي الرواسي[٧].

١ ـ قال الساجي: فيه لين[٨].

٢ ـ وقال الأزدي: فيه لين ونظر[٩].

---

(١) تهذيب التهذيب: ٩/ ٤٤٢.
(٢) تهذيب الكمال: ٧/ ٥٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) تاريخ بغداد: ٨/ ١٩٩.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣١.
(٦) تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٦٠.
(٧) تهذيب الكمال: ٢٥/ ١٩٦.
(٨) تهذيب التهذيب: ٩/ ١٤٣.
(٩) ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٤٥.

٣ ـ وقال عثمان بن أبي شيبة: جاء محمد بن ربيعة، فطلب أن نكتب عنه، فقلنا لا ندخل في حديثنا الكذّابين[١].

أما الطريق الخامس: عبد الوارث، وهو ابن سعيد بن ذكوان التميمي:

١ ـ قال البخاري: قال عبد الصمد: إنه لكذوب على أبي[٢]...

٢ ـ كما ضعفه الدارقطني، وقال بعد ذكر حديثٍ عنه: لا يصح هذا.

٣ ـ وقال ابن معين: إنّه مجهول[٣].

٤ ـ ونقل الترمذي عن البخاري: عبد الوارث منكر الحديث.

وأما السادس: عبد الرزاق الصنعاني.

فهو أيضاً ضعيف عندهم أما لأجل تشيّعه ـ على مبناهم من كون التشيّع ضعفاً ـ وأما لأجل ضعفه في السماع كما عن ابن حنبل، وأما لأمور أُخرى[٤].

والحاصل أن هذه الرواية مليئة بالسُقم السندي وضعف رجالها، فكيف اعتمد عليها الوهابيون؟ وكيف بنوا عليها آراؤهم الفقهية، ومِن ثمّ كفّروا المسلمين واستباحوا دماءهم؟!

هذا كلّه من حيث السند.

وأما البحث في دلالة الحديث فهي:

(١) ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٤٥.
(٢) تهذيب الكمال: ١٨/ ٤٨٣.
(٣) لسان الميزان: ٢/٦٧٨.
(٤) تهذيب الكمال: ١٨/٥٨، ميزان الاعتدال: ٢/ ٦١، الجرح والتعديل: ٦/ ٣٨.

أوّلاً: لا يدل الحديث على أكثر من النهي وهو على قسمين: نهي تحريم ونهي كراهة.

وكثيراً ما ورد النهي في الأحاديث بمعنى الكراهة(١) وهذه الكثرة توجب انصراف هذا الحديث ـ الذي فيه النهي ـ إلى الكراهة، ويضعف ظهورها في الحرمة.

١ ـ قال الشافعي والأصحاب، يستحب أن لا يزاد القبر على التراب الذي أُخرج منه؛ لهذا الحديث.

٢ ـ قال السندي ـ نقلاً عن النيسابوري ـ بعد حديث النهي أن يكتب على القبر شيء، قال: هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب يكتبون على قبورهم وهو شيء أخذه الخلف عن السلف(٢).

٣ ـ قال الذهبي: أوصى جدّه ـ أي جد سبط بن الجوزي أن يكتب على قبره:

---

(١) نهى النبي ﷺ عن أكل الثوم إلاّ مطبوخاً، نهى النبي عن الاختصار في الصلاة، النهي عن الحجامة للصائم، النهي عن قتل النملة والنحلة، النهي عن فضل وضوء المرأة، النهي عن صوم يوم السبت، النهي عن ركوب الجلاّلة، النهي عن تلقي الركبان، النهي عن التحريش بين البهائم، النهي عن البصل والكراث، النهي عن بيع فضل الماء، النهي عن أن يكون الإمام مؤذناً، النهي عن السفر بالقرآن، النهي أن تسترضع الحمقاء، النهي عن البول قائماً، النهي عن البول في المغتسل، النهي أن يبيع المهاجر لأعرابي. وعشرات الأحاديث بهذه المضامين، مما لم يتفوّه فقيه بالقول فيها بالحرمة بل حملت على الكراهة ليس إلاّ.

وروايات النهي عن بناء القبور من هذا القبيل ـ لغلبة الاستعمال في الكراهة:

أ ـ النهي عن تجصيص القبر.

ب ـ النهي عن عقد القباب عليه.

ج ـ النهي عن البناء عليه.

د ـ النهي عن أن يكتب على القبر شيء.

(٢) سنن النسائي: ٤/٨٧.

يا كثير العفو عمن ... كُثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجوا ... الصفح عن جُرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيـ ... ـف إحسان إليه[١].

التعريف بابن الجوزي:

قالوا فيه: الشيخ العلامة، الإمام الحافظ المفسِّر، شيخ الإسلام مفخر العراق[٢].

٤ ـ قال النووي: أما البناء، فإن كان في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب... قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه[٣].

ثانياً: إن هذه الأحاديث غير ناظرة إلى ما يكون تعمير القبر وتشييده والبناء فوقه، من تعظيم شعائر الله وحرماته، لكون صاحبه نبياً أو ولياً، أو لكونها بنيت لمصالح في الدين مهمة؛ مثل أن تكون علامة ومناراً للقبر الذي ندب الشرع إلى زيارته وحفظاً له عن الاندراس. كما علّم رسول الله ﷺ قبر عثمان بن مظعون، وعلّمت فاطمة الزهراء عليها السلام قبر حمزة الشهيد.

وفيما يلي الشواهد:

١ ـ ابن ماجه: وقد علّم رسول الله ﷺ قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه[٤]. وعقب الهيثمي عليه: وقال إسناد حسن[٥].

(١) سير أعلام النبلاء: ٣١/ ٣٨٠ و٣٧٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) شرح صحيح مسلم: ٣/ ٦٢.
(٤) سنن ابن ماجة: ١/ ٤٩٨.
(٥) المصدر نفسه.

قال السندي في توضيح الحديث: أي وضع عليه الصخرة ليتبيّن بها.

٢ ـ وعن بعض الصحابة: لما مات عثمان بن مظعون اخرج بجنازته فدفن، فأمرَ النبي ﷺ رجلاً أن يأتي بحجرٍ فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله ﷺ وحسَر عن ذراعيه.

قال الراوي: كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه، وقال: أتعلّم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي.

. . . فلما ولّى مروان بن الحكم المدينة مرَّ على ذلك الحجر، فأمَرَ به فُرمى به، وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية، فقالوا: بئس ما صنعت فمُر به فليرد. فقال: أما والله إذ رميت به فلا يُرد[1].

٣ ـ الأصبغ بن نباتة: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تأتي قبر حمزة، وكانت قد وضعت عليه علماً تعرفه[2] وذكر أن قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر كان عليهم النَقَل يعني حجاراً صغاراً[3].

ثم أن الفوائد المترتّبة على البناء ما يلي:

١ ـ تعظيم الشعائر وإرغام الأعداء والمنكرين.

٢ ـ استظلال الزائرين بها من الحرّ والقرّ عند الزيارة والصلاة بجانبها التي ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها.

٣ ـ قراءة القرآن.

٤ ـ التدريس.

٥ ـ إلقاء المواعظ وغير ذلك. . .

---

(١) وفاء الوفاء: ٣/ ٨٩٤.
(٢) مصنف عبد الرزاق: ٣/ ٥٧٤.
(٣) المصدر نفسه.

الفصل الثامن

الإسراج على القبور

١ - رأي الوهابية
٢ - مناقشة الفكرة
٣ - سيرة المسلمين
٤ - مناقشة حديث المنع من الإسراج

الإسراج على القبور

وقد منعه الوهابيون، محتجين بالحديث المتقدّم لعن رسول الله زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج[1].

والجواب:

أوّلاً: هذا الحديث ضعيف السند ـ كما مرّ ـ.

ثانياً: محمول على غير قبور الأنبياء والأولياء الذين دلّ الشرع على رجحان تعظيمهم، أحياءً وأمواتاً.

ثالثاً: محمول على صورة عدم المنفعة، فيكون تضييعاً للمال، وأما الإسراج لقراءة القرآن والأدعية، والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها، فليس مكروهاً ولا محرماً، وذلك للنفع الظاهر في ذلك، فيكون من التعاون على البّر والتقوى، كما أشار إلى ذلك العزيزي والسندي والشيخ الحنفي والشيخ علي منصور. وسيأتي تفصيل أقوالهم.

والشاهد على ذلك:

فعل النبي ﷺ: فقد روى الترمذي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل قبراً ليلاً فأُسرج له سراج[2].

رابعاً: سيرة المسلمين.

---

(١) سنن النسائي: ٤/ ٩٥، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٠ الرقم ١٣٨٤.
(٢) الجامع الصحيح: ٣/ ٣٧٢ ب٦٢.

كما أن سيرة المسلمين ـ من قبل أن يولد ابن تيمية وبعده ـ كانت جارية على الإسراج والإضاءة على القبور والمشاهد:

١ ـ قنديل على قبر أبي أيوب الأنصاري:

قال الخطيب البغدادي: قال الوليد: حدّثني شيخ من أهل فلسطين: أنّه رأى بنيّة بيضاء دون حائط القسطنطينية فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي ﷺ فأتيت تلك البنية، فرأيت قبره في تلك البنية وعليه قنديل[١] معلّق بسلسلة[٢].

والملاحظ أن وفاة الخطيب ٤٦٣هـ أي في القرن الخامس ووفاة ابن تيمية في القرن التاسع، والفرق الزمني بينهما حوالى أربعمائة سنة فهذه العادة كانت جارية قبل أن يولد ابن تيمية ولم يُعهد من فقيه إسلامي أفتى بحرمة هذا المعنى، ولا عدّه من البدع والشرك.

٢ ـ قناديل تنقل لقبر الزبير:

قال ابن الجوزي: فمن الحوادث في سنة ٣٨٦هـ أن أهل البصرة ادّعوا أنهم كشفوا عن العوّام... ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات وأُقيم فيه قوّامٌ وحفظة ووقف عليه وقوفاً[٣].

الملاحظ: أن هذا الاكتشاف ومن ثم عملية نقل القناديل ونصبها على القبر، كان في القرن الرابع، قبل أن يولد ابن تيمية بخمسة قرون ولم يعهد أيضاً من فقيه أفتى بحرمة نقل القناديل واستضاءة قبر الزبير أو قبر غيره.

---

(١) وهو معروف يستضاء به، وفي الحديث: الرجل يصلّي وبين يديه قنديل، مجمع البحرين: ٥/ ٤٥٦ مادة (قندل).

(٢) تاريخ بغداد: ١/ ١٥٤.

(٣) المنتظم: ١٤/ ٣٨٣.

٣ ـ قناديل على قبر الكاظم عليه السلام:

قال الخطيب: . . . وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدّ. . .[١]

مناقشة الحديث:

أما من حيث السند: فقد رواه الحاكم في مستدركه بسندين ينتهيان إلى ابن عباس، ولكن فيهما: أبو صالح وهو باذان وليس: «السمان» المحتج به[٢] وأبو صالح هذا مردود.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال ابن عدي: «عامّة ما يرويه، تفسير، وما أقلّ ما له في المسند. . . ولم أعلم أحداً من المتقدّمين رضيه»[٣].

وفي الحديث طريقان آخران تعرضنا لها في بحث زيارة النساء للقبور.

أما دلالة الحديث:

١ ـ قال العزيزي في شرح قوله صلى الله عليه وآله: «والسُرُج» محل ذلك حيث لا ينتفع بها الأحياء. . . فإن كان هناك من ينتفع به صح ذلك[٤].

٢ ـ وقال السندي في حاشية سنن النسائي: والنهي عنه لأنه تضييع مال بلا نفع. ومفاده: أنه لا نهي حيث يكون هناك نفع[٥].

---

(١) وفيات الأعيان: ٥/ ٣١٠.
(٢) تهذيب الكمال: ٤/٦.
(٣) الكامل في الضعفاء: ٢/ ٧١، وفيه باذام، مستدرك الحاكم: ١/ ٥٣٠ الرقم ١٣٨٤.
(٤) شرح الجامع الصغير: ٣/١٩٨.
(٥) سنن النسائي: ٤/ ٩٥.

٣ ـ الشيخ الحنفي في الحاشية: يحرم إسراج القنديل على قبر الولي ونحوه، حيث لم يكن ثمَّ من ينتفع به، لما فيه من إضاعة المال، لا لغرض شرعي[١].

٤ ـ وقال الشيخ علي ناصف: فلا يجوز السُرج على القبور لأنها إضاعة مال، إلاّ إذا كان هناك أحدٌ من الأحياء فيجوز له الإسراج[٢].

إذن: الحكم ارشادي لا مولوي، فهو إرشاد إلى عدم تضييع المال، فلو كان للإضاءة والسراج نفع عقلائي، فلا يشمله هذا الحديث.

أضف إلى عدم إفادة اللعن الحرمة بل قد يكون محمولاً على الفعل المكروه.

(١) أُنظر كشف الارتياب: ٣٣٩.
(٢) التاج الجامع للأصول: ١/ ٣٨١.

الفصل التاسع

النـــذر

١ ـ دعوى الوهابية في النذر لغير الله
٢ ـ مناقشة الدعوى
٣ ـ الروايات تؤكد جواز ذلك
٤ ـ سيرة المسلمين في النذر
٥ ـ آراء العلماء في النذر لغير الله

النذر لغير الله

ترى الوهابية حرمة النذر لغير الله وأن ذلك يشبه النذر للأوثان وأنه ينشأ من الغلو في المنذور له.

١ ـ قال القصيمي: إنها من شعائر الشيعة الناشئة عن غلوّهم في أئمتهم وتأليههم لعلي وولده[١].

٢ ـ وقال ابن تيمية: قال علماؤنا لا يجوز أن يُنذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء، لا من درهم ولا من زيت، ولا من شمع، ولا من حيوان ولا غير ذلك، كلّه نذر معصية، وقد ثبت في الصحيح: من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه[٢].

وقال: وإذا كان الطلب من الموتى ـ ولو كانوا أنبياء ـ ممنوعاً خشية الشرك، فالنذر للقبور، أو لسكّان القبور نذر حرام باطل يشبه النذر للأوثان ومن اعتقد أنّ في النذر للقبور نفعاً أو أجراً فهو ضال جاهل[٣].

مناقشة الفكرة:

والجواب:

أولاً: المقصود بالنذر نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلى النبي أو الولي أو الصالح، ولا يقصد التقرّب إليه بالنذر بل إلى الله، كيف يقصد

---

(١) الغدير: ٥/ ١٨٠ ـ كتاب الصراع: ١/ ٥٤.
(٢) كشف الارتياب: ٣٥٥.
(٣) الملل والنحل: ٢٩١.

التقرّب إليه وهو يعلم أنه ميّت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور، لا يأكله إن كان طعاماً ولا ينفقه إن كان مالاً، ولا يلبسه إن كان ثياباً.

فالواجب عدم التسرّع في التكفير والتهجّم على المسلمين بفتاوى غير مدروسة بل يجب حمل فعل المسلم على الصحّة، وينبغي الحذر من التهجّم مهما أمكن.

ثانياً: إنَّ هذا النذر لا يزيد على من نذر لأبيه وأُمّه أو حلف أو عاهد أن يتصدَّق عنهما وقد ورد لزوم الوفاء به، كما روي عنه ﷺ أنه قال للبنت التي نذرت لأبيها عملاً «في بنذرك».

أما اختيار بعض الأمكنة: فهو طلب لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات وهذا ممّا لا بأس به. ويدل عليه بعض الروايات:

الروايات والنذر:

١ ـ روي عن ثابت بن الضحاك، عن النبي ﷺ: أنّ رجلاً سأله أنّه نذر أن يذبح ببوانه[1]، فأتى رسول الله، فأخبره فقال ﷺ: هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟

قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم[2].

٢ ـ عن ميمونة: أن أباها قال للنبي ﷺ: إني نذرتُ أن أذبح خمسين شاة على بوانه، فقال: هناك شيء من هذه النُصُب؟ فقال: لا.

---

(١) هضبة قريبة من ساحل البحر. معجم البلدان: ٢/ ٣٠.
(٢) سنن أبي داود: ٣/ ٢٣٨ ح٣٣١٣.

قال ﷺ: فأوفِ بنذرك، فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة، فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهمّ اوفِ بنذري حتى أمسكها فذبحها[١].

وهذه الرواية لعلّها متحدة مع ما قبلها وإن اختلفت في بعض العبارات.

ولعلّ سؤاله ﷺ: هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعياد الجاهلية، خشية أن يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم.

ثالثاً: معنى النذر: هو أن يلزم انسان نفسه بأداء شيء معيّن إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته، فيقول: لله عليّ أن أفعل كذا إذا كان كذا.

وهذا هو النذر الشرعي. ففي قوله: نذرت لفلان مجازاً لِغاية الاختصار، إذ معناه: نذرت لله على أن أفعل شيئاً يكون ثوابه لفلان.

هل المشابهة توجب التكفير:

ومن أعجب العجائب: تكفير ابن تيمية للمسلمين في هذه النذور بحجّة أن عملهم في النذر يشبه عمل المشركين.

فلو كان هذا هو الملاك، فهناك أعمال أُخرى تشبه عمل المشركين؛ وذلك مثل كثير من مناسك الحج وفرائضه، تشبه في ظاهرها أعمال المشركين: كالطواف حول البيت، والتقبيل، وذبح الذبائح و. . .

اضف إلى ذلك: إن الملاك والمقياس هو النية القلبية لا التشابه. قال رسول الله ﷺ: إنّما الأعمال بالنيّات.

قال العزامي الشافعي: من استخبر حال من يفعل ذلك من

(١) معجم البلدان: ٢/ ٣٠ ـ و١/ ٥٠٥.

المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات إلاّ الصدقة عنهم وجعل ثوابها لهم.

وقد علموا أن اجماع أهل السنّة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة:

١ ـ منها ما صحّ عن سعد، أنه سأل النبي ﷺ، قال: يا نبي الله إن أُمّي افتلتت (أي ماتت) وأعَلْمُ أنها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدَّقتُ عنها أينفعها ذلك؟ قال: نعم.

فسأل النبيّ: أيُّ الصدقة أنفع يا رسول الله ﷺ؟

قال: «الماء» فحفر بئراً وقال: هذه لأُمّ سعد[1].

وقد أخطأ ابن تيمية ومن حذا حذوه، فأدعى أن المسلم إذا قال: هذه الصدقة للنبي ﷺ أو الولي، فاللام بنفسها هي اللام الموجودة في قولنا: «نذرتُ لله» ويراد منها الغاية. وقد غفل ابن تيمية أو تغافل عن أن العمل لله، ويقصد «باللام» جهة المصرف للصدقة.

قال العزّامي: اللام في هذه لأُم سعد هي اللام الداخلة على الجهة التي وجّهتْ إليها الصدقة لا على المعبود، المتقرّب إليه، وهي كذلك في كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون، وهي كاللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[2].

سيرة المسلمين في النذور:

إنّ النذر بالذبح وغيره، للأنبياء والأولياء أمرٌ شائع بين المسلمين،

(١) فرقان القرآن: ١٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

ومعروف من سيرتهم، من دون اختصاص بفرقةٍ دون فرقة. وإنما يثاب به الناذر إن كان لله وذبح باسم الله.

يقول الخالدي: بمعنى أن الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه الله كقول الناس: ذبحت لميتي بمعنى تصدقتُ عنه وكقول القائل: ذبحت للضيف بمعنى أنه كان السبب في حصول الذبح[١].

ويكفينا من الشواهد لسيرة المسلمين ثلاثة:

١ ـ قبر البستي بمراكش.

٢ ـ قبر النذور ببغداد «قبر عبيد الله بن محمد بن عمر».

٣ ـ قبر أحمد البدوي بطندتا.

١ ـ قبر البستي:

١ ـ أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العبّاس البستي نزيل مراكش، المتوفى بها عام ٦٠١هـ. «قبره مزار مزاحم عليه مجرّب الإجابة، زرته مراراً لا تحصى، وجربتُ بركته مرّة، وقال ابن الخطيب السلماني: ... ويبلغ وارد ذلك المزار في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهب عين، وربّما وصل بعض الأيام ألف دينار، وتُصرف كلّها في ذوي الحاجات المحتفين به من أهالي تلك الديار...[٢].

قال صاحب نيل الابتهاج: ... وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه في روضته من ازدحام الخلق عليها، وقضاء حوائجهم، وقد زرته ما يزيد على خمسمائة مرّة وبت هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة، وشاهدت بركته في الأمور...[٣].

---

(١) صلح الأخوان: ١٠٩، الغدير: ٥/ ١٨٢.
(٢) نيل الابتهاج: ٢/ ٦٢، الغدير: ٥/ ٢٠٤.
(٣) المصدر السابق.

٢ ـ الشيخ أحمد بن علي البدوي المتوفى ٦٧٥هـ. دفن بطندتا[١]، وجعلوا على قبره مقاماً واشتهرت كراماته، وكثرت النذور إليه[٢].

٣ ـ قبر عبيد الله بن محمد بن عمر: هو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال البغدادي: باب البردان فيها جماعة من أهل الفضل وعند المصلّى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يُعرف بقبر النذور ويقال: إن المدفون فيه رجلٌ من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام يتبرك بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدّثني القاضي أبو القاسم التنوخي: قال: حدّثني أبي، قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة[٣] ونحن مخيمون بالقرب من مصلّى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أوّل يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور.

فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل: قبره، لعلمي بطيرته من دون هذا واستحسن اللفظة، قال: قد علمتُ أنه قبر النذور وإنّما أردتُ شرح أمره. فقلت: هذا يقال إنّه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال: إنّه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيةً فجعلت له هناك زبية وسيِّر عليها، وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حيّاً، وإنّما شهر بقبر النذور لأنّه ما يكاد يُنذر له نذرٌ إلاّ صحّ وبلَغ الناذر ما يريد. ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحدُ

(١) لعل الصحيح هو طنبذة قرية من أعمال البهنسا من صعيد مصر، أو من نواحي أفريقيا. معجم البلدان: ٤/٤٣، أو طنطا، بلدة معروفة بمصر.

(٢) المواهب اللدنية: ٥/٣٤٦.. شذرات الذهب: ٧/٦٠٥.

(٣) صاحب العراق ابن السلطان حسن بن بويه الديلمي: أُنظر سير أعلام النبلاء: ١٦/٢٤٩، مات عام ٣٧٢هـ. ودفن بالنجف الأشرف.

مَن نذر له مراراً لا أُحصيها كثرة نذوراً على أُمور متعذرة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به. فلم يتقبل ـ عضد الدولة ـ هذا القول وتكلّم بما دل على أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً فيتسوق العوام بأضعافه ويُسيِّرون الأحاديث فيه. فأمسكتُ فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يومٍ وقال: اركب معي إلى مشهد النذور. فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع فدخله وزار القبر وصلّى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة، أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمة وأقمنا أيّاماً ثمّ رحل ورحلنا معه يريد همذان فبلغناها، وأقمنا فيها معه شهوراً فلما كان بعد ذلك، استدعاني، وقال لي: ألستَ تذكر ما حدّثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى. فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لإحسان عشرتك.

والذي كان في نفسي في الحقيقة أنَّ جميع ما يقال فيه كذب.

فلما كان بعد ذلك بمُدَيدَةٍ، طرقني أمرٌ خشيتُ أن يقع ويتمّ وأعملتُ فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهباً، فذكرت ما أخبرتني به في النذور لمقبرة النذور، فقلت: لِمَ لا أُجرِّب ذلك؟ فنذرت: إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك كالأمر، فتقدّمت إلى أبي القاسم ـ كاتبه ـ أن يكتب إلى أبي الريان ـ وكان خليفته ببغداد ـ يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز ـ وكان حاضراً ـ فقال له عبد العزيز: قد كتبتُ بذلك ونفذ الكتاب[1].

(١) تاريخ بغداد: ١/ ١٢٣.

آراء العلماء في النذر:

١ ـ قال الخالدي: بعد ذكر حديثي أبي داود: وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر في أماكن الأنبياء والصالحين زاعمين أنَّ الأنبياء والصالحين أوثان ـ والعياذ بالله ـ وأعيادٌ من أعياد الجاهلية، فهو من ضلالهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه حتى سمّوهم أوثاناً.

وهذا غاية التحقير لهم خصوصاً الأنبياء فإنَّ من انتقصهم ولو بالكناية يكفَّر ولا تُقبل توبته في بعض الأقوال. وهؤلاء المخذولون بجهلهم، يسمّون التوسّل بهم عبادة، ويسمّونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم، والله أعلم[١].

كما لا عبرة بجهالة ابن تيمية ومن لف لفّه وضلالاتهم[٢].

٣ ـ وقال الرافعي ـ نقلاً عن صاحب التهذيب وغيره ـ: إنه لو نذر أن يتصدّق بكذا على أهل بلدٍ عيّنه، يجب أن يتصدّق به عليهم.

قال: ومن هذا القبيل ما ينذر بعثه إلى القبر المعروف بجرجان، فإنَّ ما يجتمع منه على ما يحكى، يُقسّم على جماعة معلومين، وهذا محمولٌ على أنّ العرف اقتضى ذلك فنزل النذر عليه.

ولا شكّ أنّه إذا كان عُرفٌ، حُمِلَ عليه، وإن لم يكن عرف فيظهر أن يجري فيه خلاف وجهين:

أحدهما: لا يصح النذر لأنه لم يشهد له الشرع، بخلاف الكعبة والحجرة الشريفة.

---

(١) صلح الإخوان: ١٠٩.
(٢) الغدير: ٥/ ١٨٣

والثاني: يصحُ إذا كان مشهوراً بالخير، وعلى هذا ينبغي أن يُصرف في مصالحه الخاصّة، ولا يتعداها.

واستقرب السُبكي بطلان النذر في صورة عدم العرف هناك للصرف[١].

٢ ـ وقال الخالدي أيضاً: إنَّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين وإنّما الأعمال بالنيّات، فإن كان قصد الناذر، الميّت نفسه والتقرّب إليه بذلك، لم يجز قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى، وانتفاع الأحياء بوجه من الوجوه، وثوابه لذلك المنذور له الميت، سواء عيّن وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه، ويكون هناك ما يطّرد الصرف فيه في عرف الناس من مصالح القبر أو أهل بلده أو مجاوريه أو الفقراء عامة أو أقرباء الميت أو نحو ذلك، ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور.

وحكي القول بذلك عن الأذرعي، والزركشي، وابن حجر الهيثمي المكي، والرّملي الشافعي، والقباني البصري، والرافعي، والنووي، وعلاء الدين الحنفي، وخير الدين الرملي الحنفي، والشيخ محمد الغزي، والشيخ قاسم الحنفي[٢].

٤ ـ وقال العزامي: . . . واغترّ بكلامه ـ أي ابن تيمية ـ بعض من تأخّر عنه من العلماء، ممّن ابتلي بصحبته أو صحبة تلاميذه، وهو منه تلبيسٌ في الدين وصرف إلى معنى لا يريده مسلم من المسلمين. ومن خبر حال من فعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للميتين من الأنبياء والأولياء إلاّ الصدقة عنهم وجعل ثوابها

(١) أنظر فتاوى السُبكي: ١/ ٢٩٤، الغدير: ٥/ ١٨١.
(٢) صلح الإخوان: ١٠٢، انظر الغدير: ٥/ ١٨١.

إليهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنّة منعقد على أنَّ صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة. . .

فالنذر بالذبح وغيره للأنبياء والأولياء أمرٌ مشروع سائغ من سيرة المسلمين عامّةً من دون أي اختصاص بفرقة دون أُخرى. . .[١].

وبعد هذه الأدلة والشواهد وكلمات أعلام السنة، فهل يحق لابن تيمية وأتباعه الاصرار على مزاعمه والتفوّه بحرمة النذر لغير الله.

(١) فرقان القرآن: ١٣٣، انظر الغدير: ٥/ ١٨١.

الفصل العاشر

الحلف بغير الله

١ ـ دعوى الوهابية

٢ ـ مناقشة الدعوى

٣ ـ صدور الحلف من النبي ﷺ

٤ ـ محاولات ابن عبد البر

٥ ـ تقرير النبي والصحابة وغيرهم

٦ ـ مناقشة رواية ابن عمر

الحلف بغير الله تعالى

لقد منعت الوهابية الحلف بغير الله، وبعضهم جعله شركاً على الإطلاق، وبعضهم جعله من الشرك الأصغر.

قال ابن تيمية: الشرك شركان: أكبر، وله أنواع ومنه.. طلب الشفاعة من المخلوق، والتوسل وغيره.

وأصغر: كالرياء والسمعة، ومنه الحلف بغير الله، لما روي عن ابن عمر: عن رسول الله ﷺ من حلف بغير الله فقد أشرك و... الشرك الأصغر لا يُخرج عن الملة وتجب التوبة منه[1].

وقال الصنعاني في «تطهير الاعتقاد» بعدما ذكر أن القبوريين سلكوا مسلك المشركين حذو القذة بالقذة، وعَدَّ أعمالهم الموجبة لذلك، قال: ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه، فإذا حلف باسم وليٍّ من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا كانت عبادة الأصنام[2].

مناقشة الفكرة

أوّلاً: وقع الحلف بغير الله، من الله، ومن النبي ﷺ، ومن الصحابة والتابعين ومن جميع المسلمين خلفاً عن سلف.

---

(١) رسائل الهدية: ٢٥.

(٢) انظر كشف الارتياب: ٣٣٥.

أمّا من الله تعالى: والعصر، والعاديات، والنازعات، والناشطات، والمرسلات، والذاريات، فالجاريات، والتين، والضحى، والسماء ذات البروج، والنجم إذا هوى، والفجر وليالٍ عشر، ن والقلم، لا أقسم بيوم القيامة، فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس، لعمرك أنهم لفي سكرتهم... (الحجر: ٧٢).

إن قلت: إن جوازه من الله لا يستلزم جوازه من الناس.

قلت: إن صدوره من الله يدل على أنّه لا قبح فيه. وإذا كان الله قد جعل لنفسه شريكاً، وأشرك بالشرك الأصغر ـ تعالى عن ذلك ـ فما على من اقتدى به في ذلك بأس!!

لأن ما يقبح من العبد لكونه شركاً أصغر وتشبيهاً للخلق في العظمة بالله تعالى لا يمكن أن يحسن منه تعالى، إذ صدوره منه ـ تعالى ـ لا يخرجه عن تلك الصفة ـ إن كانت ـ وهي الشرك الأصغر!!

ثانياً: صدور الحلف ـ بغير الله ـ من النبيّ ﷺ.

١ ـ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أما وأبيك لتنبّأنّه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء[1].

٢ ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحد، يقول: هل عليَّ غيرها؟ وهو يقول: لا، إلاّ أن تطوّع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٤١٩.

فقال رسول الله ﷺ: أفلحَ وأبيه إن صدَق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدَق[١].

محاولات ابن عبد البر:

حكى القسطلاني عن ابن عبد البر: أن هذه اللفظة ـ منكرة، غير محفوظة، تردُها الآثار الصحاح[٢].

أقول: بل يعضدها حديث: أما وأبيك لتنبأنه.

قال: وقيل إنها مصحّفة من قول والله.

قال القسطلاني: وهو محتمل ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال، سيما وقد ثبت في لفظ أبي بكر في قصة السارق الذي سرق حلي ابنته.

فقال: وأبيك ما ليلك بليل سارق[٣].

ثم أضاف القسطلاني: وأحسن الأجوبة ما عن البيهقي وارتضاه النووي وغيره: إن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير أن يقصدوا به القسم، أو أنّ التقدير: أفلح ورب أبيه[٤].

أجاب السيّد محسن الأمين رحمه الله: إن العرب تقصد به القَسَم، وإلا كان اتيانه عبثاً وهذراً والحذف لا دليل عليه[٥].

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٤ كتاب الإيمان ونماذج أُخرى كثيرة منها:
أ ـ وأبيك لو طعنت في فخذها لأجزأتك. السنن الكبرى: ٩/ ٢٤٦، تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٧٧.
ب ـ لعمري ما نفعناك لتنزل عنه. مجمع الزوائد: ٩/ ١٢.
ج ـ لعمري إن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه. الطبقات الكبرى: ٤/ ٤٨.
د ـ لعمري لإن تتكلم بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت. مسند أحمد ٥/ ٢٢٥.
هـ ـ لعمري إني لاولكم قوماً. مسانيد: ٢/ ٦١٩.
(٢) إرشاد الساري: ٩/ ٣٥٧.
(٣) إرشاد الساري: ٩/ ٣٥٧.
(٤) كشف الارتياب: ٢٧١.
(٥) كشف الارتياب: ٢٧١.

تقرير النبي ﷺ:

قال أبو طالب عمّ النبي ﷺ ضمن أبيات له:

كذبتم وبيت الله يُبزى محمدٌ ولما نطاعن دونه ونناضل[١]

فسمع ذلك رسول الله ﷺ ولم ينكره.

تقرير الصحابة وفعلهم:

١ ـ قال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألتُ عمّي علياً عليه السلام شيئاً ويمنعني، أقول له: بحق جعفر فيعطيني[٢].

فلم ينكره عليه، ولم يردعه، بل يلبّي دعوته، بعد هذا القسم.

٢ ـ قول أبي بكر للسارق: وأبيك ما ليلك بليل سارق[٣].

٣ ـ كتاب علي لمعاوية: ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان[٤].

٤ ـ وفي كتاب آخر: فلعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك[٥].

٥ ـ وفي كتاب معاوية لعلي عليه السلام فإن كنتَ أبا حسن إنما تحارب عن الإمارة والخلافة، فلعمري لو صحت لكنتَ قريباً من أن تُعذر في حرب المسلمين[٦].

---

(١) إيمان أبي طالب ٣٣٩/ فخار بن معد الموسوي، منية الراغب في إيمان أبي طالب: ١٢٢ للشيخ محمد رضا الطبسي رحمه الله، شرح النهج: ١٤/ ٧٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١٥/ ٧٣ ـ الاستيعاب: ١/ ٢ ـ ٨١.

(٣) يراجع كشف الارتياب ص٢٧١ قال العلاّمة الأميني أخرجه في الموطأ وغيره ولم نعثر عليه لا في الحدود ولا في الإيمان والنذور.

(٤) نهج البلاغة، للشيخ محمد عبده: ٥٢٦ رقم الكتاب ٦.

(٥) نهج البلاغة كتاب (٩).

(٦) كشف الارتياب: ٣٣٩.

٦ ـ الحسين بن علي عليه السلام:

لعمرك أنني لأحب داراً تحلّ بها سكينة والرباب[١]

٧ ـ وقال علي الأكبر يوم كربلاء:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ـ وبيت الله ـ أولى بالنبي[٢]

٨ ـ عبد الله بن عمر العنسي: وكان هذا من عبّاد أهل زمانه، لمّا سمع رواية عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله أن عماراً تقتله الفئة الباغية، خرج ليلاً فأصبح في عسكر علي عليه السلام وحدّث الناس بقول عمرو وأنشد:

والراقصات بركب عامدين له إن الذي جاء من عمرو لمأثور

ما في مقال رسول الله في رجل شكّ ولا في مقال الرسل تحيير[٣]

مسروق يحلف بقبر النبي صلى الله عليه وآله:

عائشة: قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر، ما الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الخوارج؟ قالت: سمعته يقول: إنّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خيرُ الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة[٤].

فهنا: نرى أن مسروق حلف بصاحب القبر... ولم تردعه عائشة.

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٣، الفصول المهمة: ١٨٣، البداية والنهاية: ٨/ ٢٠٩، الأغاني: ١٦/ ١٣٩، المعارف لابن قتيبة: ٢١٣، أعلام النساء المؤمنات: ٤٣١.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٣٠.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٤٤.

(٤) كشف الارتياب: ٣٤٠، انظر البداية والنهاية: ٨/ ٣١٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٦٧ عن مسند أحمد، بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٣٩ و٣٨: ص١٩ كلاهما عن شرح نهج البلاغة هذا ولم نعثر عليه في مسند أحمد عبر الفهارس لعل الحديث فاتهم أو لم يفهرسوه عمداً كما هو دأبُ بعضهم في ترك فهرسة ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام.

مناقشة حديث عبد الله بن عمر:

روى الترمذي: أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف بغير الله فقد كفر[١].

فهذه على فرض صحّة السند، محمولة على الكراهة الشديدة، وأمّا: على صورة اعتقاد التعظيم في المحلوف به، ما يعتقده في الله عزّ وجلّ.

قال القسطلاني: والتعبير بالكفر والشرك للمبالغة في الزجر والغليظ.

وهل النهي للتحريم أو للتنزيه؟ المشهور عند المالكية: الكراهة وعند الحنابلة التحريم، وجمهور الشافعية: التنزيه.

وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة.

وقال غيره بالتفصيل: فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده في الله، حرم وكفر بذلك الاعتقاد، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر[٢].

أما النقاش السندي:

أحمد عن سليمان بن حيّان، عن الحسن بن عبيد الله، عن سعد بن عبيدة، سمع ابن عمر رجلاً يقول: والكعبة. فقال: لا تحلف بغير الله، فإنّي سمعتُ رسول الله يقول: من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك.

---

(١) إرشاد الساري: ٩/٣٥٨. مسند أحمد: ٣/١٢٥ ـ انظر موسوعة اطراف الحديث النبوي: ٨/ ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

وفي السند سليمان بن حيان، وهو مختلف فيه، ففي ابن معين وابن عدي: صدوق ليس بحجة، وإنما أُتي من سوء حفظه.

وعن البزار ـ كما في مقدمة فتح الباري عمره[١] ـ اتفق أهل العلم بالنقل أنه لم يكن حافظاً[٢].

---

(١) فتح الباري ١: ٤٠٥.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٠.

الفصل الحادي عشر

الاحتفالات

١ ـ دعوى الوهابية ودليلهم

٢ ـ مناقشة الدليل

٣ ـ سيرة المسلمين

٤ ـ الفتاوى وكلمات العلماء

٥ ـ مناقشة دلالة الحديث

٦ ـ مناقشة سند الحديث

٧ ـ تفسير الحديث ومفاده

الاحتفالات

تزعم الوهابية أن من المنكرات: تكريم مولد النبي ﷺ بالاحتفال وقراءة القرآن وإنشاد القصائد، والإحسان إلى المؤمنين بالإطعام.

وفيما يلي عرض آرائهم وأدلّتهم:

١ ـ ابن تيمية: إن اتخاذ هذا اليوم عيداً، محدثٌ لا أصل له، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولا غيرهم من اتخذ ذلك عيداً، حتى يحدث فيه أعمالاً. . . وإنّما يفعل مثل هذا: النصارى الذي يتّخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً أو اليهود، أو. . .

وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاةً للنصارى في ميلاد المسيح، وإمّا محبّة للنبي ﷺ وتعظيماً له. . . فإن هذا لم يفعله السلف، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف أحقّ به منّا[١].

٢ ـ وقال عبد الرحمن بن حسن آل شيخ: قد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله، ويسمّونها عيداً كمولد البدوي بمصر وغيره، بل هي أعظم، لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة[٢].

٣ ـ وقال محمد حامد الفقي: والمواليد والذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء هي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم[٣].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٩٣.

(٢) كشف الارتياب: ٤٨.

(٣) أنظر الملل والنحل للسبحاني: ٤/ ٣٢٠.

واستدلّوا لرأيهم:

١ ـ بما رواه أبو هريرة: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت»[١].

٢ ـ وما روي عن النبي ﷺ: نهى أن يُتخذ ـ القبر ـ عيداً.

مناقشة الفكرة:

أوّلاً: فرق بين التكريم والعبادة، وذلك لأن العنصر المقوّم للعبادة هو الاعتقاد بألوهية المعبود، أو ربوبيّته، أو كونه مفوّضاً إليه فعل الربّ، وليس في الاحتفال شيء من ذلك.

وفي التكريم: تجسيد للأصل الوارد في القرآن الكريم والروايات، وهو حب النبي ﷺ على وجه يكون النبي ﷺ مقدّماً عند الإنسان على نفسه.

أمّا في القرآن:

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢].

وأما في الحديث: فعن النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون [أنا وأهل بيتي] أحبَّ إليه من نفسه[٣] [وبنيه والناس جميعاً][٤].

---

(١) منسد أحمد: ٣/ ٤٢٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٣) الدر المنثور: ٣/ ٢٢٣.

(٤) منتهى الآمال: ٢/ ٦٤٧، وفي البحار عن أمالي الصدوق: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته فقال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمان ما تزال تجيء بالحديث يحيي الله به القلوب، ٢٧/ ص٧٥ وص٨٦ مسند أحمد ٣/ ٢٠٧ ـ و٤/ ٣٣٦، أنظر مصادره «موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٧/ ٣١٢».

فعلى قول حامد الفقي وغيره من الوهابيين أن يفرّقوا بين العبادة والتكريم، قبل أن يتهجّموا على من يقوم بالاحتفالات و . . .

ثانياً: إن الأصل في الأشياء هو الجواز ما لم يقم عليه منع شرعي، كما صرح ابن تيمية بهذا الأصل، حيث قال:

إنّ الأصل في العادات عدم الحظر إلاّ ما حظره الله[١].

وعليه: أولاً لم يرد منع شرعي عن الاحتفال، وما روي فسيأتي البحث فيه وأنّه ضعيف سنداً ودلالةً.

ثالثاً: وإن لم يكن لإقامة الاحتفال نصّ على الجواز ولكن تُعرف مشروعيته وجوازه من خلال الأصل المسَلَّم المتخذ من الكتاب والسنة، وهو حبّ النبيّ وأهل بيته، فالمنع عنه، يُعدّ مخالفة لإظهار هذا الحبّ ويكون إظهاراً للحقد والضغن الكامن في القلب.

ثالثاً: إن ابن تيمية جعل المقياس في الحلية والحرمة فعل السلف، فهل المقياس هو فعل السلف أم الكتاب والسنّة؟

ولو سلمنا أن السلف هو المقياس، فإنّهم قد أقاموا الاحتفالات على مر الأزمان ويشهد له نص المؤرّخين والمحدّثين:

١ ـ قال القسطلاني: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم. . . فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدّ علةٍ على من في قلبه مرض وإعياء داء[٢].

٢ ـ وقال الديار بكري: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه، بأنواع الصدقات، يظهرون

(١) المجموع: ٤/ ١٩٥.
(٢) المواهب اللدنية: ١/ ٢٧.

السرور ويزيدون في المبرّات ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كلُّ فضلٍ عميم[١].

فهذا هو فعل السلف وإجماع المسلمين في عصور مختلفة ومتمادية... وقد يرون حجّية الإجماع في عصر واحد، فكيف بإجماعهم في عصور مختلفة، وهل يحق بعد ذلك أن يقول ابن تيمية: فإنّ هذا لم يفعله السلف...؟!

رابعاً: كلمات العلماء:

١ ـ قال ابن عباد: أما المولد، فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكلّ ما يفعل فيه ممّا يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك... أمرٌ مباح لا منكر[٢].

٢ ـ القسطلاني: «رحم الله امرأً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدَّ علة على من في قلبه مرض واعياء داء»[٣].

٣ ـ يقال إن ممّن سبق في إحياء الاحتفالات هو أبو سعيد الأربلي عام ٦٣٠هـ.

وربّما يقال: إنّ أوّل من أحدثه بالقاهرة: الخلفاء الفاطميون أوّلهم: المعجز لدين الله، توجّه من المغرب إلى مصر في شوّال عام ٣٦١هـ، وقيل في ذلك غيره[٤].

تدل هذه الشواهد التاريخية على أن المسلمين احتفلوا أزماناً ليست بالقصيرة من دون معارضةٍ صريحة ولا ضمنية من سائر المسلمين ولا من فقهائهم.

---

(١) تاريخ الخميس: ١/٣٢٣.
(٢) المواسم والمراسم: ٢٠ نقلاً عن القول الفصل بمولد خير الرسل: ١٧٥.
(٣) المواهب اللدنية: ١/٢٧.
(٤) الملل والنحل للسبحاني: ٤/٣٢٣.

مناقشة الحديث «لا تجعلوا قبري عيداً»:

أوّلاً: إن أحمد بن حنبل نقلها بعبارة أُخرى وهي: عن سهيل بن أبي صالح: «... اللهم لا تجعل قبري وثناً»[1].

وعليه فيحتمل الخطأ في النقل، وإن الوارد عن النبي هو «وثناً» بأن يحذّرهم من اتخاذهم قبره مسجداً يسجد له أو يُجعل قبلة يتوجّه إليه في الصلاة.

ثانياً: إن العيد لغة هو الموسم وعليه فلا يصح أن يقع خبراً لقوله: «قبري» إذ لا معنى لجعل القبر عيداً، وإنّما يصحّ جعل موسم أو يوم مشخّص عيداً، فيقال مثلاً: موسم الحج عيد، أو يوم الجمعة عيدٌ.

ثالثاً: إن الحديث على النقلين «عيداً ـ وثناً» ضعيف السند، إذ على النقل الأول: في سنده سهيل ابن أبي صالح وعلى النقل الثاني في سنده عبد الله بن نافع وكلاهما ممّن لا يُحتج بحديثهما:

أما سهيل بن أبي صالح:

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال ابن المديني: مات أخٌ لسهيل ووجد ـ حزن ـ عليه، فنسي كثيراً من الحديث.

وقال ابن معين: ضعيف.

وأما الراوي الثاني: عبد الله بن نافع.

قال البخاري: يعرف حفظه وينكر.

---

(١) مسند أحمد: ٢/٢٤٦.

وقال ابن حنبل: لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفاً، ولم يكن في الحديث بذاك[١].

وقال الرازي: ليس بالحافظ هو لين تعرف حفظه وتنكر[٢].

تفسير الحديث ومفاده:

١ ـ يحتمل أن يكون المراد به: الحثّ على كثرةِ زيارة النبي ﷺ وأن لا يهمل حتى لا يزار إلاّ في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلاّ مرّتين[٣]، بمثابة العيد، وهذا هو رأي المنذري[٤].

٢ ـ ويحتمل أن يكون المراد: لا تتخذوا وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلاّ فيه، كما ترى أن كثيراً من المشاهد لزيارتها يوم معيّن كالعيد، وهذا هو رأي السبكي[٥].

٣ ـ ويحتمل أن يكون المراد: أن لا يجعل كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك، ممّا يعمل في الأعياد، بل: لا بد وأن لا يؤتى إلاّ للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه.

وهو المتبادر من كلام الخفاجي الحنفي[٦].

٤ ـ ويحتمل أن يكون المراد: إن اجتماعهم عند قبره، ينبغي أن يكون مصحوباً بالخشوع والتأمّل والاعتبار حسبما يناسب حرمته واحترامه، فإنّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً، فلا يكون ذلك مصحوباً باللهو

(١) ميزان الاعتدال: ٢/ ٢٤٣، انظر: تهذيب الكمال: ١٢/ ٢٢٣.
(٢) الجرح والتعديل: ٥/ ١٨٤، شفاء السقام: ٨٠.
(٣) شفاء السقام: ٨٠ عن المنذري.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) شرح الشفا: ٣/ ٥٦٦.

واللعب والغفلة والمزاح ممّا اعتادوه في أعيادهم[١].

٥ ـ قال الخفاجي الحنفي: وأما قوله ﷺ: لا تتخذوا قبري عيداً، فقيل: كره الاجتماع عنده في يوم معيّن على هيئة مخصوصة.

وقيل: المراد لا تزوروه في العام مرّة فقط بل أكثروا الزيارة له.

وأما احتماله للنهي عنها فهو بفرض أنه المراد محمول على حالة مخصوصة، أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه، واظهار الزينة عنده وغيره ممّا يُجْتَمع له في الأعياد. بل لا يؤتى إلاّ للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف.

وقال أيضاً في شرح الحديث: أي كالعيد باجتماع الناس، وقد تقدّم تأويل الحديث وأنه لا حجّة فيه لما قال ابن تيمية وغيره فإن إجماع الأُمّة على خلافه، يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فإنّه نزعة شيطانية[٢].

---

(١) المواسم والمراسم: ٧١.
(٢) نسيم الرياض في شرح الشفا: ٣/ ٥٢٣ و٥١٤ و٥٧٧، انظر الغدير: ٥/ ١١٩.

الفصل الثاني عشر

في المآتم والمراسم

١ ـ تشجيع النبي ﷺ على إقامة العزاء

٢ ـ سيرة النبي في اقامة العزاء والبكاء

٣ ـ سيرة الصحابة

٤ ـ سيرة المسلمين في اقامة المسيرات وضرب الطبول

٥ ـ أدلة العامّة على تحريم العزاء والبكاء

* الميت يعذب ببكاء أهله
* أُحثُ في وجوههن التراب
* عمر يضرب النواحة ويقتحم الدار

في المآتم والمراسم

لدينا نصوص وروايات من النبي الكريم، ومن الصحابة والتابعين أنهم كانوا يبكون على الموتى والشهداء.. ويفسحون المجال لاقامة المآتم والمراقي. ويشجعون على ذلك ونصوص تدل على أن عائشة كانت تلطم وجهها في مصيبة وفاة رسول الله ﷺ. ومآتم عظيمة أقيمت حداداً على مصيبة بعض الشخصيات من المحدثين وغيرهم. وفيما يلي نصوص:

النبي ﷺ يشجع على البكاء:

١ ـ عن أسامة بن زيد قال: ارسلت بنت النبي ﷺ أنّ ابناً لي قبض، فأتنا، فأرسل يقرأ السلام ويقول: «إن الله له ما أخذه وله ما اعطى وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع رسول الله ﷺ الصبي ونفسه، تقعقع، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «رحمة يجعلها في قلوب عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[1].

٢ ـ أحمد: «رجع رسول الله من أُحُد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهن فقال رسول الله ﷺ: ولكن حمزة لا بواكي له، قال: ثم نام فانتبه وهنّ يبكين حمزة. قال: فهُنّ اليوم إذا بكين

(١) سنن النسائي: ٤/ ٢٢.

يندبن حمزة»[١].

٣ ـ وعن البلاذري: «وقال ـ أي النبي ﷺ ـ حينما أراد أن يخرج من بيت جعفر، بعد أن عَزى أسماء بنت عميس: على مثل جعفر فلتبك البواكي»[٢].

٤ ـ الحاكم: «خرج النبي على جنازة ومعه عمر بن الخطاب، فسمع نساء يبكين، فزبرهُنَّ عمر فقال رسول الله ﷺ يا عمر! دعهن، فإن العين دامعة والنفس مصابة والعهد قريب»[٣].

ويفهم من هذا النص أن القول بحرمة البكاء على الميت سنة عمرية ولست نبوية. وأن عمر هو الذي منع عن البكاء على الميت رغم موقف النبي الكريم منه.

السيرة العملية للنبي الكريم:

يحدثنا التاريخ والسيرة عن بكاء النبي ﷺ على إبراهيم وعبد المطلب وأبي طالب وحمزة الشهيد وفاطمة بنت أسد، وآمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ وعثمان بن مظعون وسعد بن ربيع وو...

١ ـ بكاؤه على إبراهيم: «بكى عليه، فسئل عن ذلك فقال: تدمع العينان ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الرب[٤]».

٢ ـ بكاؤه على عبد المطّلب: قالت أم أيمن أنا رأيتُ رسول الله يمشي تحت سريره وهو يبكي[٥].

---

(١) الاستيعاب: ١/ ٢٧٥.
(٢) انساب الأشراف: ٤٢.
(٣) المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣٨١، سنن النسائي: ٤/ ١٩، مسند أحمد: ٣/ ٣٢٣.
(٤) العقد الفريد: ٣/ ١٩.
(٥) تذكرة الخواص: ٧.

٣ ـ بكاؤه على أبي طالب: «عن علي عليه السلام: اخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب عليه السلام، فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفّنه وواره غفر الله له ورحمه»[١].

٤ ـ بكاؤه على حمزة بن عبد المطلّب:

لما رأى النبي حمزة قتيلاً بكى فلّما رأى ما مثّل به شهق[٢].

٥ ـ بكاء النبي على فاطمة بنت أسد: صلّى عليها وتمرغ في قبرها وبكى[٣].

٦ ـ بكاؤه على أمه آمنة:

زار النبي صلى الله عليه وآله قبر أمه فبكى وابكى من حوله[٤].

٧ ـ بكاء النبي على عثمان بن مظعون:

إنّ النبيّ قبّل عثمان بن مظعون ـ وهو ميت ـ وهو يبكي...[٥].

٨ ـ بكاء النبي صلى الله عليه وآله على سعد بن ربيع (شهيد أُحدُ):

قال جابر بن عبد الله: لما قُتل سعد بن ربيع بُأحد، رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ثم مضى إلى حمراء الأسد... وكانت امرأة سعد امرأة حازمة؛ صنعت طعاماً ـ خبزاً ولحماً ـ ثم دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهي يومئذٍ بالأسواف موضع بناحية البقيع. فانصرفنا إلى النبي صلى الله عليه وآله من الصبح فبينما نحن عنده جلوس ونحن نذكر وقعة

(١) الطبقات الكبرى: ١/ ١٠٥.
(٢) السيرة الحلبية: ٣/ ٢٤٧.
(٣) دخائر العقبى: ٥٦.
(٤) المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣٥٧ تاريخ المدينة ١: ١١٨.
(٥) المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣٦١، السنن الكبرى: ٣/ ٤٠٧.

أُحُد، ومن قُتل من المسلمين ونذكر سعد بن ربيع، قال رسول الله ﷺ: قوموا بنا، فقمنا معه ونحن عشرون رجلاً حتى انتهينا إلى الأسواف، فدخل رسول الله ﷺ ودخلنا معه، فنجدها قد رشَّت ما بين صوَرَين وطرحت خصفة، قال جابر: والله مائمٌ وسادة ولا بساط. فجلسنا ورسول الله يحدثنا عن سعد بن ربيع، يترحم عليه ويقول: «لقد رأيتُ الأسنّة شرعت إليه يومئذٍ حتى قتل».

فلما سمع ذلك، النسوة، بكين فدمعت عينا رسول الله، وما نهاهن عن شيء[١].

سيرة الصحابة والتابعين:

١ ـ بكاء عائشة: عن عباد، قال: سمعتُ عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ ثم وضعتُ رأسه على وسادة وقُمتُ ألتدِم ـ أي اضرب صدري ـ مع النساء واضرب وجهي[٢].

٢ ـ بكاء ابن مسعود: فوقف ابن مسعود على قبره ـ أي قبر عمر ـ يبكي ويطرح رداءه[٣].

٣ ـ بكاء عبد الله بن رواحة: قال ابن هشام: قال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة بن عبد المطلب[٤].

٤ ـ بكاء عمر بن الخطّاب: عن عثمان: أتيتُ عمر بنعي النعمان بن مقرن، فجعل يده على رأسه وجعل يبكي.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ١/ ٢٦١، السنن الكبرى: ٣/ ٤٠٧.
(٢) السيرة النبوية: ٤/ ٣٠٥.
(٣) العقد الفريد: ٣/ ١٩٥.
(٤) السيرة النبوية: ٣/ ١٧١.

٥ ـ بكاء نساء بني سفيان:

عن الحسن البصري: «قُتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته... وحَمَل أهل الشام بنات رسول الله ﷺ سبايا على أحقاب الأبل، فلما ادخلنا على يزيد، قالت فاطمة بنت الحسين يا يزيد أبنات رسول الله ﷺ سبايا!! قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمّك تجديهن قد فعلن ما فعلتِ، قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلاّ مُلتدمة[1] تبكي[2].

٦ ـ بكاء أهل مكة على رسول الله ﷺ:

عن سعيد بن المسيب قال: لما قبض النبي ﷺ ارتجت مكة بصوتٍ، قال: فسمع ذلك أبو قحافة فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون[3].

٧ ـ بكاء المدينة على الحسين عليه السلام:

الطبري: «لما قَتَل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي وجيء برأسه إليه دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمر بن سعيد فبشرهُ بقتل الحسين ـ وكان عمرو أمير المدينة ـ ... قال عبد الملك فقدمتُ المدينة، فلقيني رجل من قريش. فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون! قُتِلَ الحسين بن علي.

فدخلتُ على عمرو بن سعيد، فقال: ما وراءك، فقلت: ما سرّ الأمير، قُتِل الحسين بن علي، فقال: نادِ بقتله، فناديت بقتله، فلم

---

(١) التدمت المرأة: ضربت صدرها في النياحة.
(٢) العقد الفريد: ٤/ ٣٨٣.
(٣) أخبار مكة للفاكهي: ٣/ ٨٠.

أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن، على الحسين. . .[١].

ولمّا أتى أهل المدينة مقتلُ الحسين، خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها، وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرِّجوا بدم

إقامة المسيرات العزائية، وضرب الطبول:

١ ـ ضرب الطبول في عزاء: عبد المؤمن، ت٣٤٦هـ:

عن النسفي: شهدتُ جنازة الشيخ أبي يعلى ـ أي عبد المؤمن بن خلف ـ بالمصلّى، فغشيتنا أصوات طبُوُل مثل ما يكون من العساكر حتّى ظنَّ جَمْعُنَا أنَّ جيشاً قد قَدِم. . . فلما اجتمع الناس وقاموا للصلاة، هدأ الصوت كأن لم يكن[٢].

التعريف بعبد المؤمن:

قالوا فيه: الإمام الحافظ القدوة. . . وكان من الفقهاء القائلين بالظاهر بقعة محمد بن داود ببغداد، وكان منافراً لأهل القياس، ثرياً متبعاً ناسكاً كثير العلم. . .[٣].

٣ ـ نياحة عام على الجويني، ت٤٧٨هـ:

قال الذهبي: توفي ـ أي الجويني ـ في الخامس والعشرين من

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٤٢.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٤٨٠ ـ ابن عساكر: ١٠/ ٢٧٢. تذكرة الحفاظ: ٣/ ٨٦٦، العبر: ٢/ ٢٧٢، مرآة الجنان: ٢/ ٣٤٠، طبقات الحفاظ: ٣٥٤، شذرات الذهب: ٣٧٣.
(٣) المصدر نفسه.

ربيع الآخر ودفن في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين - فدفن بجنب والده. وكسروا منبره وغلقت الأسواق ورُثي بقصائد وكان له نحو من أربعمائة تلميذ، كسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا حَولاً، ووُضعت المناديل عن الرؤوس عاماً. بحيث ما اجترأ أحدٌ على ستر رأسه. وكان الطلبة يطوفون في البلد نائحين عليه مبالغين في الصياح والجزع...[١].

أقول: غاية ما علق الذهبي على هذا الحداد من غلق الأسواق والرثاء بالقصائد ووضع المناديل عن الرؤوس عاماً، واقامة المسيرة العزائية من قَبِل تلامذته نائحين رافعين أصواتهم».. هو أن: هذا كان من زي الأعاجم لا من فعل العلماء المتبعئِن.

ولكن - الذهبي - عندما يتعرض لبدء اقامة المآتم على الحسين عليه السلام عام ٣٥٢هـ أيام معز الدولة في بغداد حيث يقول: غلقوا الأسواق ونصبوا القباب فيها وعلقّوا عليها المسوح وخرجوا في الشوارع يلطمون ويقيمون المأتم على الحسين... تراه يقول وبكل وقاحة وصلافة: اللهم ثبّت علينا عقولنا[٢].

هذا موقفه من المآتم على الحسين سيد شباب أهل الجنة وقد سكت عنه علماء العامة. بينما تراهم لم يسكتوا عن موقفه تجاه النياحة والمأتم على الجويني. ورميه تلامذته بأنهم: اعاجم وليسوا بعلماء متبعين.

فتصدى له السُبكي قائلاً: وقد حار هذا الرجل - الذهبي - ما الذي يؤذى به هذا الإمام، وهذا لم يفعله الإمام ولا أوصى به أن يفعل حتى يكون غضاً منه وإنما حكاه الحاكون إظهاراً لعظمة الإمام عند أهل عصره

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٨/٤٦٨، المنتظم ٩/ ٢٠، ذيل تاريخ بغداد: ٩٣ - طبقات الأسنوي: ١/ ٤١١ - تبيين كذب المفتري ٢٨٤، وفيات الأعيان: ٣/١٤٩.

(٢) العبر: ٣/٨٩، تاريخ الإسلام حودات عام ٣٥١ ص١١.

وأنه حصل لأهل العلم على كثرتهم، فقد كانوا نحو أربعمائة تلميذ، ما لم يتمالكوا معه الصبر، بل أداهم إلى هذا الفعل، ولا يخفى أنه لو لم تكن المصيبة عندهم بالغة أقصى الغايات لما وقعوا في ذلك.

وفي هذا أوضح دلالة لمن وفقه الله على حال هذا الإمام - يعني به الجويني - وكيف كان شأنُهُ فيما بين أهل العلم في ذلك العصر المشحون بالعلماء والزهاد..»[١].

٣ - شهر واحد حداد على إبن الجوزي ت٥٩٧هـ

قال الذهبي: توفي - أي ابن الجوزي - ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشرين رمضان سنة ٥٩٧هـ... وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، وضاق بالناس وكان يوماً مشهوداً... وافطر خلق ورموا نفوسهم في الماء... وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل... وانزل في الحفرة والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل... وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء وتكلمت فيه، وحضر خلقٌ عظيم وعملت فيه المراثي...[٢]

والجدير بالذكر دعواهم أن السماء بكت على ابن عساكر وابن عبد العزيز، وتراهم يتناقلون هذه الأقاويل بدون أي تعليق واعتراض ورد، بينما يتحفظون في نقل النصوص الواردة في بكاء السماء على الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة.

١ - بكاء السماء على ابن عساكر!!، ت٥٧١:

قال ولده: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة، فدرَّ وسحَّ عند

---

(١) طبقات الشافعية: ٥/ ١٨٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٣٧٩.

ارتفاع نعشه، فكأنَّ السماء بكت عليه بدمع وابلة واطشة(١).

٣ ـ بكاء السماء على عمر بن عبد العزيز!!

عن خالد الربعي قال: مكتوب في التوراة: إن السماء والأرض لتبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً(٢).

سبط بن الجوزي يقيم عزاء الحسين عليه السلام:

قال ابن كثير: وقد سئِل في يوم عاشوراء زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين، فصعد المنبر، وجلس طويلاً لا يتكلم، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً، ثم أنشأ يقول وهو يبكي:

ويل لمن شفعاءه خصماؤه	والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بدَّ أن ترد القيامة فاطمٌ	وقميصها بدم الحسين ملطَّخ

ثم نزل من المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك ـ أي يبكي ـ رحمه الله(٣).

والمتحصل من هذه النصوص والشواهد التاريخية أن اقامة المآتم والمراسم وقراءة المراثي، والطواف بالبلد في حال النوح والبكاء وقراءة الاشعار والصياح... والجزع واللطم على الوجه والصدر وضرب

(١) معجم الأدباء: ١٣/ ٧٥.
(٢) الروض الفائق: ٢٥٥ ـ الغدير: ١١/ ١٢٠.
(٣) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٧.

بل يحدثنا التاريخ أن بعض المحدثين جمع أصحابه وبكوا عليه قبل وفاته كما حدث للفُراوي (ت٥٣٠هـ). يقول ابن السمعاني: وأذكر أنا خرجنا في رمضان سنة ثلاثين، وحملنا محفتَهُ على رقابنا إلى قبر مسلم بن الحجاج بنصر اباذ، لإتمام «الصحيح» عند قبر المصنف، فبعد أن فرغ القارئ من قراءة الكتاب. بكى ودعا، وأبكى الحاضرين وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ عليَّ بعد هذا... طبقات الشافعية: ٦/ ١٦٩.

الطبول وغلق الأسواق. . . وإلى ما شاكل ذلك من مظاهر الحزن والعزاء كان امراً متداولاً بين المسلمين ولم يتجرأ أحدٌ أن يتهمهم بعدم العقل. ولا بالبدعة وارتكاب الحرام. ولكن لا ندري لماذا عندما يصل الأمر إلى اقامة المأتم والعزاء على شهيد كربلاء. قتيل الزنادقة واجلاف بني أمية، أعني سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي. ترى أذناب ابن تيمية لم يتحملوا ذلك، ولم يضبطوا أنفسهم فتراهم يعارضون ذلك بلغة عامية جلفة، ولم يتورعوا فيما يصدر من أفواههم. . . كأنّهم يبادرون في نصرة الظلمة من بني أمية. . . حشرهم الله معهم. . .

أدلة العامة على تحريم البكاء على الميت:

الدليل الأول: أحاديث الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وهي منقولة عن عمر، وابنه وغيرهما، بما حاصله: الميت يعذب في قبره بما نيح عليه، أو أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، أو أن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه[1].

ولكن يبدو من بعض النصوص أن الراوي اخطأ في النقل أو نسي النص ـ على ما صرحت بذلك عائشة ـ.

قال ابن عباس: لما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم الله عمر والله ما حدّث رسول الله، إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ولكن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله»، وقالت ـ عائشة ـ حسبكم القرآن ولا تزر وازرة وزر أخرى. فما قال ابن عمر شيئاً[2].

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، صحيح مسلم، الجنائز، جامع الأصول ١١/٩٩، الرقم ٨٥٧ ـ السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٠ سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٦ برقم ١٥٨٩.

(٢) المجموع: ٥/ ٣٠٨.

وعن عائشة: إنها قيل لها إن ابن عمر يقول: الميت يعذب ببكاء الحي، فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مرَّ رسول الله ﷺ على يهودية يُبكى عليها، فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها.

ما قيل في توجيه الروايات:

١ ـ معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم وتلك الشمائل قبائح في الشرع فيعذب بها كما كانوا يقولون: يا مرمِّلَ النسوان ومؤتِم الولدان مخرِّب العمران ومفرِّق الأخدان ونحو ذلك مما يرونه شجاعة وفخراً وهو حرام شرعاً.

٢ ـ وعن طائفة معناه: أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرقّ لهم وإلى هذا ذهب ابن جرير وغيره قال القاضي وهو أولى الأقوال.

٣ ـ وعن عائشة: إن معنى الحديث أن الكافر وغيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم[١].

٤ ـ ما أورده في البحار: إن الباء بمعنى «مع» أي يعذب مع بكاء أهله عليه يعني الميت يعذب بأعماله وهم يبكون عليه[٢].

الدليل الثاني: ما رواه الهندي عن عائشة: لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن وأنا أطلع من شق الباب، فأتاه رجل، فقال: يا رسول الله: إنّ نساء جعفر فذكر من بكائهن، قال: فارجع إليهن

(١) المجموع للنووي: ٥/٣٠٨.
(٢) بحار الأنوار: ٧٩/١٠٩.

فأسكتهن، فإن أبين فاحثُ في وجوههن التراب[(١)] وفيه:

أولاً: معارض بما ورد عن النبي ﷺ من البكاء على الميت وترغيبه الناس في البكاء على حمزه، وجعفر... وأنه ﷺ قال لعمر لما زبر نساء يبكين الميت، قال: «دعهن، فإن العين دامعة والنفس مصابة والعهد قريب»[(٢)].

ثانياً: في السند محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وهو مختلف فيه: فعن ابن نمير: إنه يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة. وعن أحمد: يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه وعنه أيضاً: كان ابن إسحاق يُدّلس. وعن أبي عبد الله: كان لا يبالي عن من يحكي وعنه أيضاً: ليس بحجة.

وعن أحمد: لم يكن يحتج به في السنن، وعن يحيى بن معين، ليس بذاك، ضعيف، وعنه أيضاً: سقيم ليس بالقوي. وعن النسائي: ليس بالقوي[(٣)].

الدليل الثالث: فعل عمر وضربه النواحة:

عن نضر بن أبي عاصم: إن عمر سمع نواحة بالمدينة ليلاً فأتى عليها فدخل ففرق النساء فأدرك النائحة فجعل يضربها بالدرّة فوقع خمارها فقالوا: شعرها يا أمير المؤمنين، فقال: أجل، فلا حرمة لها...[(٤)].

وفيه أولاً: ضعيف السند بجماعة منهم إبراهيم بن محمد بن أبي

---

(١) كنز العمال: ١٥/ ٧٣٢، مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ٢٦٥.

(٢) سنن النسائي: ٤/ ١٩، مسند أحمد: ٣/ ٣٣٣ المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣٨١.

(٣) تهذيب الكمال ١٦/ ٨٠ ـ ٧٠.

(٤) كنز العمال: ١٥/ ٧٣١ المصنف لعبد الرزاق: ٣/ ٥٥٧ الرقم ٦٦٨٢ وفيه: نصر بن عاصم.

يحيى، قال يحيى بن سعيد القطان سألت مالكاً عنه: أكان ثقة؟ قال: لا، ولا ثقة في دينه وقال أحمد: كل بلاءٍ فيه.

وقال أيضاً لا يكتب حديثه، ترك الناس حديثه كان يروي أحاديث مُنكرة، لا أصل لها. وكان يأخذ أحاديث الناس يضعها في كتبه.

وقال بشر بن المفضل: سألت فقهاء أهل المدينة عنه، فكلّهم يقولون: كذاب أو نحو هذا.

وقال يحيى بن سعيد: كذاب وقال ابن معين: ليس بثقة وقال النسائي، ليس بثقة ولا يكتب حديثه...[١].

ثانياً: من المستبعد ـ جداً ـ هجوم عمر واقتحامه داراً فيها النساء[٢] ـ غير المحرم ـ ثم كشفه عن حجاب امرأة بحيث يبدو شعرها ثم قوله: إنها لا حرمة لها، أي أنها غير مسلمة. وخارجة عن الإسلام!!!

ثالثاً: على فرض ثبوت هذا الأمر من عمر. فهل فعله حجة؟؟ طالما لم يدّعِ هو العصمة، ولا ادعى أحد العصمة في عمر بن الخطاب.

كما عدّ الغزالي حجية قول عمر وأبي بكر من الأصول الموهومة. فقال: الأصل الثاني من الأصول الموهومة: قول الصحابي وقد ذهب قوم إلى أنّ مذهب الصحابي حجة مطلقاً، وقوم إلى أنه الحجة إن خالف القياس. وقوم إلى أن الحجة في قول أبي بكر وعمر خاصة لقوله ﷺ اقتدوا باللذين بعدي[٣] وقوم إلى أن الحجة في قول الخلفاء

(١) تهذيب الكمال: ١/ ٤٢٠.

(٢) وتكراره ما صدر منه من اقتحام بيت الوحي وهجومه دار فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

(٣) وقد اجبنا عن هذا الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ من كتابنا دراسات فقهية في مسائل خلافية فقهية ص١٣٠.

الراشدين، إذا اتفقوا. والكل باطل عندنا فإنَّ من يحوز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمتُه عنه فلا حجة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟(١)

رابعاً: مما يؤكد على أن موقف الخليفة لا يعكس سنة الرسول وفعله ﷺ هو قول النبي ﷺ له في حديث آخر: «يا عمر دعهن»(٢) وقول عائشة: رحم الله عمر: إنه نسي أو اخطأ(٣) ونكتفي بهذا المقدار من المناقشات ـ وفيها كفاية لمن له اذن صاغية. ونترك التفصيل إلى مجال آخر إن شاء الله تعالى.

---

(١) المستصفى: ١/ ٢٦٠ ـ دراسات فقهية في مسائل خلافية: ١٣٨.
(٢) مسند أحمد: ٣/ ٣٢٣.
(٣) المجموع للنووي: ٥/ ٣٠٨.

الخاتمة

لائحة: بأسماء كتب في رد الوهابيّة:

ألف العلماء في الرد على الوهابية عشرات الكتب، والجدير بالذكر هو أن المؤلّفين لم يكونوا من الإمامية فحسب، بل من كافّة المذاهب الإسلامية بمن فيهم: الحنابلة[1].

وفيما يلي لائحة بأسماء بعض تلك الكتب؛ على الترتيب الهجائي:

١ ـ ابن تيمية حياته وعقائده، صائب عبد الحميد، معاصر.

٢ ـ الآيات الجليلة للشيخ مرتضى كاشف الغطاء، ت١٩٣١هـ.

٣ ـ إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لأحمد بن أبي الضيّاف.

٤ ـ الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية، لأبي العون السفاريني الحنبلي، ت١١٨٨هـ.

٥ ـ الأجوبة النعمانية عن الأسئلة الهندية، خير الدين الألوسي ١٣١٧هـ.

٦ ـ الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات. فيها نقض فتاوى الوهابية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ١٣٧٣هـ.

٧ ـ الوهابية في الميزان، للشيخ جعفر السبحاني، معاصر.

٨ ـ الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ١٣٧١هـ.

---

(١) بلغ عدد الردود من علماء السنّة أكثر من أربعين كتاباً، أُنظر: بحوث في الملل والنحل: ٤/ ٣٥٤.

٩ ـ إزاحة الغي في الرد على عبد الحي للسيد علي بن الحسن العسكري ١٢٤٠هـ. ردّاً على الصراط المستقيم لعبد الحي حول منع إقامة العزاء.

١٠ ـ إزاحة الوسوسة، عن تقبيل الأعتاب المقدّسة، للشيخ عبد الله المامقاني، ت١٣٥١هـ.

١١ ـ إزهاق الباطل، للميرزا محمد بن عبدالوهاب الكاظمي، ت١٣٠٣هـ.

١٢ ـ الإسلام السعودي الممسوخ، للسيد طالب الخرسان. معاصر.

١٣ ـ الأُصول الأربعة في ترديد الوهابية، محمد حسن جان السرهندي، ت١٣٤٦هـ.

١٤ ـ إظهار العقوق، ممّن منع التوسّل بالنبي والولي الصدوق.

١٥ ـ اعتراضات على ابن تيمية، أحمد بن إبراهيم الحنفي[1].

١٦ ـ الأقوال المرضية في الرد على الوهابية. عطاء الكسم الدمشقي[2].

١٧ ـ إكمال السنّة في نقض منهاج السنّة، لسيد مهدي القزويني ١٣٥٨هـ.

١٨ ـ كمال المنة في نقض منهاج السنة، سراج الدين حسن بن عيسى اليماني، ت١٣٥٣هـ.

١٩ ـ الإمامة الكبرى والخلافة العظمى في ردّ منهاج ابن تيمية، للسيّد حسن القزويني، ت١٣٨٠هـ.

٢٠ ـ الانتصار للأولياء الأبرار، للشيخ طاهر سنبل الحنفي، ت٢٥٠هـ.

٢١ ـ الإنصاف والانتصاف لأهل الحق من الإسراف، ت٧٥٧هـ.

٢٢ ـ إهداء الحقير معنى حديث الغدير إلى أخيه البارع البصير، للسيد مرتضى الخسروشاهي، ت١٣٥٣هـ.

٢٣ ـ الأوراق البغدادية في الجوابات النجدية، إبراهيم البغدادي، ت١٣٥٤هـ.

٢٤ ـ بحوث مع أهل السنة والسلفية. سيد مهدي الروحاني. معاصر.

---

(١) معجم المؤلفين: ١/ ١٤٠ و١٠/ ٢٩٣.
(٢) المصدر نفسه.

٢٥ ـ برأت الشيعة من مفتريات الوهابية. محمد أحمد حامد السوداني.

٢٦ ـ البراءة من الاختلاف، علي زين العابدين السوداني.

٢٧ ـ البراهين الساطعة. للشيخ سلامة العزامي، ت١٣٧٩هـ.

٢٨ ـ البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر. حمد الله الداجوي ١٩٧٥.

٢٩ ـ المقالات السنية في رد ضلالات ابن تيمية، للشيخ عبد الله الهرري. معاصر.

٣٠ ـ تاريخ الوهابية. أيوب صبري باشا، صاحب مرآة الحرمين[١].

هذا والحمد لله وله المنّة، على أن وفّقني لانجاز هذا الجهد المتواضع خلال القائه بعنوان دروس ومحاضرات في حوزة الرسول الأكرم ﷺ وحوزة الزهراء عليها السلام في بيروت، وقبل سبع سنوات وبشكل مختصر في جامعة الزهراء عليها السلام بقم المقدّسة. ثم جمعه وتنقيحه وتهذيبه بعنوان تأليف متواضع، خدمة بسيطة لأهل بيت النبي ﷺ. نسأل الله عزّ وجلّ القبول. والله من وراء القصد.

---

(١) أنظر مجلة تراثنا العدد الرابع شوال/ ١٤٠٩، فقد ورد فيها أكثر من مائتي عنوان كتاب في الرد على الوهابية.

الفهرس